روايات عالمية للجيب
37

Looloo
www.dvd4arab.com

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة

خلف جدار النوم

بقلم: هـ . ب . لافكرافت
ترجمة وإعداد :
د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلـف

من جديد نعاود الحديث عن (هـ . ب . لافكرافت) ! أعتقد أن ما ذكرناه فى الكتيب السابق كان وافيًا إلى حد ما ، لهذا نعيد نشره هنا من جديد ، فقط لمن لم يقرءوا الكتيب السابق ..

(هـ . ب . لافكرافت) مدرسة متفردة من مدارس أدب الرعب ثقيل الوطء ، وهى مدرسة قد لا نجد لها شبيهًا إلا عند أمريكى آخر هو (إدجار آلان بو) . كلا الأديبين ينتمى أساسًا إلى مدرسة كبرى من مدارس الأدب الرومانسى ؛ هى الرعب القوطى .. أى الرعب الشبيه بعوالم الكوابيس بالضبط .. رعب الغموض ، والقلاع المظلمة ، والبروق والرعود ، والشرور المستطيرة ، والنفوس المعقدة المجنونة ..

ومن أدباء هذه المدرسة (مارى شيللى) و (ماتيورين) و (برام ستوكر) و (م. لويس) و (آن رادكليف) . لكن (لافكرافت) استطاع أن يضفى على الرعب شاعرية أدبية معقدة ، مع خلفية من الهواجس النفسية المظلمة ذات مذاق خاص ، حيث الخطر ينبع من الداخل كما ينبع من الخارج . وصارت له مفردات عالمه الخاصة التى يعرفها قراؤه كأسمائهم مثل : (نكرومونيكون) - (كتولو) - (آرخام) - (أزوث) - (العزيف Azif) - .... إلخ ، والملاحظ أنه يشير إليها فى أكثر من قصة حتى إن كثيرين صاروا يعتقدون أنها حقيقة .. وفى بعض خطاباته الخاصة يصف لصديق الطريقة المثلى لنطق لفظ Cthulu التى حير نطقها الكثيرين ، فيقول : إن عليك أن تنطقها من حلقك مع تثبيت طرف اللسان على سقف الفم ، والنباح لتخرج الكلمة كأنها (كت - هلو - لهو) !! لأن لسان البشر القاصر لا يستطيع نطق الاسم بالشكل الصحيح ! بل ما زال كثيرون يبحثون عن النسخة الأصلية من كتاب (نكرومونيكون) السحرى ، الذى كتبه شاعر يمنى اسمه (عبد الله الحظرد) ، حسب زعم (لافكرافت) ..

ولد (هوارد فيليب لافكرافت) فى أغسطس عام 1890 فى (بروفيدنس) بـ (رود آيلاند) ، وتربى مع أمه وجده بعد وفاة أبيه الغامضة (ظل سنتين يقال له إن أباه نائم الآن) ، وكان مولعًا بالقراءة وبصفة خاصة (ألف ليلة وليلة) التى قرأها وعمره خمسة أعوام ، ولسوف يدرك دارسو أدبه يومًا ما أن (ألف ليلة) قد تركت بصمة لا تُمحى فى كتابات الرجل . وفى هذه الفترة أطلق على نفسه اسم (عبد اللّه الحظرد) ، وهو نفس الاسم الذى كتب به روايته الرهيبة (نكرومونيكون) كما قلنا . وفى العام التالى اكتشف الأساطير الإغريقية وقرأ الإلياذة والأوديسا .. ولعب جده دورًا مهمًا فى جعله يحب حكايات الرعب القوطية .

كان قليل الانتظام فى المدرسة ، بلا أصدقاء تقريبًا . لكنه كان يدرس فى مدرسته الخاصة الذاخرة بقراءات لا تنتهى . وفى سن المراهقة أصدر بنفسه مجلة دورية عن علم الفلك ، وراسل إحدى الصحف المحلية . ثم توفى جده وعانت أمه الكثير من المشاكل المادية ، مما اضطرهما إلى ترك البيت

الجميل الذى تربى فيه الأديب ، وأصابه انهيار عصبى حرمه من دخول الجامعة ، وقد ظلت هذه النقطة تعذبه طيلة حياته .

فيما بعد التحق برابطة الأدباء الهواة المتحدين عام 1914 ، وترقى إلى أن صار رئيس الرابطة ، وكانت هذه أهم خطوة فى حياته ؛ لأنه لم يكن واثقًا قط مما إذا كان يملك حاسة الأدب أو يفتقر إليها ، وكتب أولى قصصه الخيالية المرعبة (الوحش فى الكهف) ـ نشرناها فيما سبق ـ و (الخيميائى) ولاقى نجاحًا أقنعه بأن يكرس قلمه لهذا النوع من الأدب .. ومع الأدب كتب الكثير جدًا من الشعر ، مثله مثل (آلان بو) مواطنه الأشهر .

وفى الوقت ذاته كان يراسل عددًا هائلاً من الأصدقاء والمعارف ، حتى صار بالفعل من أهم من كتبوا أدب الرسائل فى هذا القرن . وفى العام 1921 قابل (سارة) .. المرأة التى ستكون زوجته ، وهى مهاجرة سوفيتية تكبره فى العمر بسبعة أعوام . وتزوجا فى العام التالى وعاش معها فى شقتها فى (بروكلين) . وكتب (لافكرافت) أسوأ كوابيسه

القصصية مثل : (الرعب فى ردهوك) و(هو) متأثرًا بجو (نيويورك) الكئيب الذى لم يحبه قط . وفى عام 1929 تم الطلاق ، وعاد هو إلى (بروفيدنس) التى أحبها بعمق . كانت هذه آخر وأهم عشرة أعوام من عمره ، وفيها سافر كثيرًا جدًا وكتب أهم رواياته (نداء كتولو) و (فى جبال الجنون) و(ظل الزمن) . كما كان يقرأ كثيرًا جدًا وفى كل موضوع من الفلك إلى التاريخ إلى النحت إلى السياسة .

ومع العام 1932 صارت قصصه أكثر تعقيدًا وصعوبة ، وصار يجد عسرًا فى بيعها ، لذا راح يكسب عيشه كمصحح لقصص الأشباح الرخيصة . وفى العام 1937 اكتشف الأطباء أنه مصاب بحالة متقدمة من سرطان الأمعاء ، وسرعان ما توفى فى العام نفسه .

كان (لافكرافت) يتنبأ بنسيان أعماله بعد موته ، لأنه لم ينشر قط كتابًا بالمعنى الصحيح .. وربما تعتبر رواية (ظل فوق إينز ماوث ـ 1936) هى العمل الوحيد له الذى نشر فى كتاب .. وفيما عدا ذلك كانت أعماله العديدة مبعثرة فى المجلات والدوريات .

وبعد وفاته تطوع تلميذاه اللذان شجعهما كثيرًا (أوجست درليث) و(دونالد وانديرى) بجمع أعماله ، وكونا دار نشر اسمها (بيت آرخام) ، وصارت كل إبداعاته متاحة للقراء وطلاب الأدب فى كتب حسنة الطباعة والتغليف .

فى هذا الكتيب والكتيب السابق له ، نقرأ بعض القصص القصيرة أو الروايات القصيرة لهذا العظيم ، وقد حاولت تخفيف بعض الفقرات ، لكننى لا أنصح صغار السن بتاتًا بقراءة هذين الكتيبين ، وهذه ليست دعاية لهما بالمناسبة ، بل هى الحقيقة !

د. أحمد خالد توفيق

* * *

هواء بارد ..

هــواء بــارد ..

تسألنى أن أفسر لماذا أخشــى تيـارات الهــواء البارد .. ولماذا أرتجف أكثر من الآخرين حين أدلف إلى غرفة باردة ، ويبدو علىَّ الغثيـان والنفور حين يزحف برد المساء فى دفء يوم خريـف . يقـول البعض إننـى أستجيب للبرد كما يستجيب غيرى لرائحة منفرة .. وإننى لآخر من ينكر هذا الانطباع ..

ما سأفعله هو أن أحكى لك أشنع ظروف قابلتها ، وأترك لك أن تحكم ما إذا كان هذا يفسر حـالتى بشكل ما ..

من الخطأ أن نحسب الرعب مرتبطًا دائمًا بالظلام والصمت والوحدة ، فقد وجدته أنا فى ضياء العصر .. فى ضوضاء المدن .. وفى قلب نُزل قديم مع رجلين شجاعين إلى جانبى ..

وفـى ربيع عـام 1923 كنـت أمـارس عملاً ممـلاً وغير مجز ، فى إحدى صحف (نيويـورك) ، ولمـا كنت غير قادر على دفع الإيجار ، فإننى رحت أتنقل

من مسكن لآخر ؛ بحثًا عن غرفة تجمع بين النظافة المعقولة والأثاث المتين والسعر الرخيص . فى النهاية وبعد جهد وجدت شقة فى الشارع الرابع عشر ، أثارت تقززى أقل من الشقق التى رأيتها من قبل ..

كان هـذا مبنـى مـن أربعـة طوابق يعود لأواخر أربعينات القرن الماضى ، وكـان بـه مـن أشـغال الخشب والرخام ما يوحى بذوق راق بائد .. أما الغـرف فكـانت مكسـوة بـورق حـائط لا يطـاق ، وزخـارف بـالجص ، وتفوح بها رائحـة العطن مع رائحة طهى غامضة .. لكن البياضات نظيفة والمـاء السـاخن متوفر دائمًا .. وهكذا اعتبرت هذه الغرفـة هى المكان المناسب للبيات الشتوى ، إلـى أن يعود المرء ليعيش من جديد ..

كانت صاحبة النُزل امرأة أسبانية قذرة توشك أن تكون لها لحية ، واسمها (هيريرو) .. لكنها ما كانت لتضايقنى بثرثرتها وأقاويلها أو بصدد الضوء الكهربى فى غرفتى ، وكان جيرانى هادئين لا يميلون للمـودة كما أشتهى بالضبط ..

أمضيت نحو ثلاثة أسابيع هناك حين حدث أول شيء غريب .. ذات ليلة فى الثامنة سمعت شيئًا ينسكب على الأرض ، وشعرت أننى أشم رائحة الأمونيا النفاذة فى نفس الوقت .. نظرت لأعلى فوجدت أن السقف رطب تتساقط منه قطرات .. وهكذا هرعت إلى البدروم لأخبر صاحبة النزل ، كى تضع حدًا لهذا الموضوع .. فقالت لى إن المشكلة ستحل حالا ..

وصاحت وهى تتقدمنى عبر الدرج :

- « دكتور (مونوز) ! لقد سكب كيماوياته .. إنه مريض دائمًا .. مريض طيلة الوقت .. لكنه لايطلب مساعدة أحد .. طيلة اليوم يستحم ويقوم بكل أعمال المنزل الخاصة به .. ولا يعمل طبيبًا .. لايمارس المهنة .. لايخرج أبدًا .. وابنى (إستيبان) يجلب له الطعام والغسيل والدواء .. رباه ! كل النشادر التى يستعملها الرجل ليظل باردًا !! »

وتوارت صاعدة إلى الطابق الرابع ، أما أنا فعدت إلى غرفتى .. كفت الأمونيا عن التنقيط .. فتحت

النافذة بينما أسمع صوت صاحبة النُزل من أعلى ، لكنى لم أسمع صوت الدكتور (مونوز) .. وإن سمعت صوت آلة ما تعمل بالجازولين .. سألت نفسى عن سر هذا الرجل ، والشذوذ الواضح فى طباعه .. هناك الكثير من الأمراض النفسية لدى رجل انحدر به الحال فى الحياة ..

ربما لم أكن لأعرف شيئًا عن الدكتور (مونوز) ، لولا النوبة القلبية التى أصابتنى صباح يوم جلست أكتب فيه فى حجرتى .. وكان الأطباء قد أنذرونى من خطر هذه النوبات .. كنت أعرف أنه ما من وقت يضيع ، وتذكرت ما حكته لى صاحبة الدار ، فهرعت إلى الطابق العلوى وقرعت الباب ..

أجيب على طرقتى بصوت غريب يسأل بإنجليزية جيدة عن مبتغاى ، فلما أجبت انفتح الباب الذى طرقته ..

حيّانى تيار من الهواء البارد .. وبرغم أن اليوم كان من أشد أيام يونيو حرًا ، فإننى ارتجفت وأنا أدخل الشقة الواسعة ، التى أثارت فخامة ديكوراتها

دهشتى فى مكان قذر كهذا .. كل شىء هنا يوحى بغرفة مكتب أحد السادة ، وليس بغرفة فى نزل رخيص كهذا .. واستطعت الآن أن أفهم أن الغرفة الى تقع فوقى لم تكن إلا معمل الدكتور .. كان من الواضح أنه رجل كريم المحتد مثقف وذو تمييز ..

كان قصير القامة لكنه متناسق الأطراف .. يرتدى ثيابًا مهندمة ، وله وجه يحمل تعبيرًا سياديًا لكنه غير متعال .. تحيط بوجهه لحية رمادية كالمعدن ، ونظارة من طراز (بانس نيه) الذى يتم تثبيته على قصبة الأنف .. وأعطى أنفه الشبيه بالنسر الرجل طابعًا يوحى بالنسب للمور(*) ، بينما السحنة عامة أقرب إلى سكان شمال أسبانيا ..

لكن الحقيقة هى أننى حين رأيت الرجل ، شعرت بنفور لم يبرره شىء فى ملامحه .. فقط وجهه المزرق الشاحب ولمسته الباردة لعبا دورًا فى هذا الانطباع .. ربما كان السبب هو البرد الفريد الذى

(*) المور مجموعة من مسلمى أسبانيا الذين جاءوا أصلاً من بلاد المغرب ، وقد تركوا طابعًا واضحًا فى المعمار والفنون لدى الأسبان ..

جعلنى أشعر بنفور .. خاصة أن هذا البرد ليس معتادًا فى يوم حار كهذا ، وما هو ليس معتادًا يسبب النفور فالشك فالخوف ..

لكن سرعان ما نسيت النفور وسط الإعجاب .. لأن براعة الطبيب ظهرت حالاً ، برغم ارتجاف يديه الشاحبتين وبرودهما .. لقد فهم مشكلتى بلمحة واحدة ، وراح يعالجها وهو يطمئننى بصوت رخيم إلا أنه أجوف غريب .. قال لى إنه ألد أعداء الموت ، وإنه أفنى عمره فى تجارب تهدف إلى محاربته ..

مزج لى بعض العقارات من غرفة المعمل وجعلنى أتناولها .. وبدت لى ثرثرته كأنها سر لوجود رجل طيب المنشأ فى هذه البيئة القذرة .. وراح يتكلم كما لم يعتد من قبل عن ذكريات الأيام الطيبة الخالية ..

كان صوته غريبًا ، لكنه مريح مهدئ للأعصاب ، وقد راح يحدثنى كى يبعد تفكيرى عن الألم .. قال لى إن الإرادة هى ما يتحكم فينا ، وإنه من الممكن

يومًا ما أن أتعلم ـ قالها مازحًا ـ كيف أعيش أو أمارس نوعًا معينًا من الوعى ، من دون قلب على الإطلاق !! بالنسبة له كان يعانى أمراضًا عدة جعلته مضطرًا للحياة حسب نظام خاص ، وكى يحتفظ بحرارة البيئة عند نحو 55 إلى 56 فهرنهايت ، فإنه كان يبرد الأمونيا بنظام معقد ، هو سر صوت محرك الجازولين الذى كنت أسمعه من حجرتى ..

شفيت بسرعة من نوبتى ، ففارقته شاكرًا ..

بعد هذا قمت بعدة زيارات ـ لابسًا المعطف ـ له ، واعتدت أن أتأمل مجموعته العجيبة من الكتب .. بدا لى أنه لايحتقر تعاويذ العصور الوسطى ؛ لأنه كان يعتقد أن هذه الوصفات السحرية تحوى تأثيرات نفسية معينة على الجهاز العصبى ، والذى منه بدأت الأعراض .. وتأثرتُ لمَّا حكى لى عن د. (توريس) من (فالنشيا) الذى قاسمه تجاربه الأولى ، وعالجه من مرضه منذ ثمانية عشر عامًا ، لكن الطبيب البارع لم يكد يشفى صاحبه حتى سقط هو نفسه فريسة لذلك الغريم الذى قاتله كثيرًا ..

وإذ مرت الأسابيع ، لاحظت فى أسى أن صديقى الجديد يفقد صحته ببطء لكن بشكل مؤكد .. لقد تزايد شحوب بشرته ، وصار صوته عميقًا غير محدد النبرات ، وبدا أن عضلاته لاتتحرك بنفس التناسق ، كما أن أفكاره صارت تفتقر إلى الوضوح والمبادأة .. وبدا لى أنه يشعر بالفعل بما يحدث له ، وكان فى كلماته لون من السخرية والتهكم لم يفت علىَّ وذكرنى بالنفور القديم الذى شعرت به نحوه ..

اكتسب بعض النزوات الغريبة ، مثل الميل إلى العطور القوية المثيرة والبخور ، حتى إن رائحة غرفته بدت كقبو ضريح فرعونى فى وادى الملوك .. وفى الوقت ذاته ازداد نهمه إلى الهواء البارد ، وقمت بتقوية نظام تبريد الأمونيا فى غرفته .. حتى صار بوسعه جعل الحرارة 34 درجة وفى النهاية 28 درجة .. وبالطبع لم نفعل هذا مع المعمل والحمام حتى لا يتجمد الماء أو تتجمد الكيماويات ..

كان كعادته الغريبة يكثر من الحديث عن الموت ، لكنه كان يضحك كلما جرى الحديث عن إعدادات

الدفن والجنازة وما إلى ذلك .. وكنت أنا ممتنًا له إلى حد أننى كنت أجلب له ما يريد من مشتريات ، وأزور حجرته يوميًا وأعنى بها ، وأنا مدثر بمعطف فراء ثقيل اشتريته خِصيصًا لهذا الغرض .. إن مسز (هيريرو) صاحبة النزل اعتادت أن ترسم الصليب كلما رأته ، ثم تخلت عنه تمامًا لى ..

كانت للمنزل كله رائحة كريهة .. لكن حجرته كانت أسوأ من سواها .. وبرغم كل البخور والعطور القوية .. وكنت كلما اقترحت عليه طبيبًا آخر ينفجر فى الغضب بالقدر الذى تسمح به صحته .. وسرعان ما بدأ الإرهاق الذى ظهر فى أول أيام المرض ، يفسح الطريق لإرادته الجبارة التى اتخذت شكلاً عنيفًا جامحًا ..

اعتاد أن يكتب وثائق طويلة لا أعرف محتواها ، وكان يغلق المظاريف ويوصينى بإعطائها لأناس معينين ذكرهم بالاسم .. ومنهم طبيب فرنسى قيل فى وقت ما إنه ميت ، والآن يتهامسون بأشياء لا يمكن استيعابها بصدده .. وبعد ما انتهى كل شىء قمت بحرق هذه الأوراق ولم أفتحها ..

وفى يوم من أيام سبتمبر ، تكفلت نظرة منه بإحداث نوبة صرع لدى رجل جاء لإصلاح مصباح المكتب الكهربى .. وقد وصف له علاج الصرع ببراعة بينما هو يتوارى عن الأنظار .. ومن الغريب أن هذا الرجل قد عاش أهوال الحرب كلها دون أن يحدث له شىء كهذا ..

ثم - فى منتصف أكتوبر - جاء هول الأهوال بشكل مفاجئ مذهل .. ذات ليلة فى الحادية عشرة ، تحطمت مضخة آلة التبريد ، وهكذا خلال ثلاث ساعات لم يعد تبريد الأمونيا ممكنًا .. واستدعانى د. (مونوز) بطرقات على الأرض . فصعدت إلى حجرته .. ورحت أحاول إصلاح المضخة ، بينما هو يسب ويلعن بصوت بلا حياة فيه ..

لم تنجح جهودى غير الاحترافية ، واستدعيت ميكانيكيًا من كراج قريب ، ليجد أن ما من شىء يمكن عمله حتى الصباح .. هنا بلغ غضب الناسك المريض أقصاه ، واندفع إلى الحمام وهو يدارى عينيه بيده .. أدركت أنه قد لف وجهه كله بالضمادات ، وكانت هذه آخر مرة أرى عينيه فيهما ..

الآن بدأت برودة الشقة تتلاشى ، وفى الخامسة صباحًا أغلق الدكتور الحمام على نفسه ، وأمرنى أن أجلب له الثلج من الحانات الساهرة .. وكنت أعود من رحلاتى - التى كانت محبطة أحيانًا - فأضع حملى أمام باب الحمام المغلق ، وأسمع صوتًا غليظًا يأمرنى : « مزيد ! مزيد ! »

فى النهاية جاء النهار ، وفتحت المحلات أبوابها .. وجدت متسكعًا عند ناصية الشارع الثامن فأخذته إلى متجر قريب ، وطلبت من صاحبه أن يعطيه ما يستطيع حمله من ثلج ، وكلفته بهذه المهمة .. بينما كلفت نفسى بالبحث عن مضخة جديدة ، والبحث عن حرفى كفء يقوم بتركيبها ..

واشتعلت غضبًا بينما الساعات تمضى بلا طعام ولا راحة ، وأنا أبحث من مكان لآخر ، وأجرى عشرات المكالمات الهاتفية بلا جدوى ..

وفى الواحدة والنصف ظهرًا وجدت مخزن آلات ، وعدت إلى النزل مع حرفيين قويين بارعين .. لقد فعلت كل ما قدرت عليه ، وتمنيت ألا أكون تأخرت كثيرًا ..

لكن الرعب الأسود كان قد سبقنى ، ووجدت البيت فى فوضى عامة ، وسمعت رجلاً يصلى بصوت خفيض عميق .. كانت رائحة شنيعة فى الجو ، وبدا أن المتسكع الذى استأجرته قد فر وهو يصرخ بعينين مجنونتين ، ويبدو أن الفضول قد غلبه ليرى ما هناك .. ما كان بوسعه أن يغلق الباب من الداخل ، لكنه الآن موصد .. لاصوت من ورائه إلا صوت قطرات تتساقط ببطء ..

تناقشت بسرعة مع مسز (هيريرو) والحرفيين ، اقترحت أن نهشم الباب ، لكن صاحبة النزل وجدت طريقة لإدارة المفتاح من الخارج باستعمال قطعة سلك .. والآن واضعين المناديل على أنوفنا ، اقتحمنا الغرفة اللعينة التى غمرتها شمس الظهيرة الدافئة ..

كانت هناك بركة صغيرة شنيعة عند المكتب .. وعلى ورقة ملطخة مبتلة كتبت كلمات بخط مشوه لا يُرى .. ثم يمضى مسار القطرات نحو الأريكة ..

أما من كان - أو ما كان - على الأريكة فلا أجسر على القول .. لكنى قرأت ما كتب على الورقة الملطخة

قبل أن أشعل عود ثقاب وأحرقها .. بينما صاحبة النزل والحرفيان يهرعون مذعورين ليحكوا ما رأوا عند أقرب نقطة شرطة ..

هذا هو ما كتب .. كان غريبًا فى ضوء الشمس وضجيج السيارات فى الشارع ، لكنى صدقته .. واليوم ما زلت أرتجف هلعًا كلما شممت رائحة الأمونيا أو شعرت بهواء بارد على وجهى ..

« النهاية هنا .. » ـ كذا كتبت الحروف كريهة الرائحة ـ « لا مزيد من الثلج .. لقد رآنى الرجل وفر مذعورًا .. إن الدفء يزداد ، ولن تعيش الأنسجة أطول من هذا .. هل تذكر ما قلته لك عن الأجساد التى تعيش بالإرادة وحدها ؟ لقد كان د. (توريس) يعرف ، لكن الصدمة قتلته .. لأنه لم يتحمل ما عليه أن يفعله وقتها ، حين كفت أعضائى عن العمل .. لذا كان يجب أن يتم الأمر بطريقتى الخاصة .. الحفظ بالبرد .. لأننى مُتّ بالفعل فى ذلك الوقت منذ ثمانية عشر عامًا .. » .

* * *

الذى لا اسم له

الذى لا اسم له ..

كنا جالسين على قبر مهدم من قبور القرن السابع عشر ، بعد الظهيرة فى يوم خريف ، فى مقبرة (آرخام) القديمة ، نتحدث عن الذى لا اسم له . ونحن ننظر إلى شجرة الصفصاف العملاقة التى غطى جذعها الغليظ شاهد قبر قديم . قلت ملحوظة عابرة عن التغذية الممتازة التى تنالها جذور هذه الشجرة من الأرض الخصبة تحتها ، لكن صاحبى وبخنى على هذا السخف ، وقال إنه مادام لم يدفن أحد هنا من قرن ، فمن العسير أن توجد تغذية كالتى أتخيلها . بالإضافة لذلك - أضاف - فإن كثرة كلامى عن « الذى لا اسم له » و « الذى لا داعى لذكره » هى طريقة خشنة تتناسب مع مستوى المتواضع كأديب .. فإننى أنهى قصصى دائمًا بأصوات ومشاهد مفزعة ، تشل أبطال قصصى وتتركهم بلا قدرة على سرد ما رأوه بالضبط ..

قال لى إننا نميز الأشياء بحواسنا الخمس ، فلا معنى للكلام عن شىء لا يستند إلى أسس مادية واضحة . دعك من الإضافات التى يسبغها السير (آرثر كونان دويل) وأمثاله (*) .

كنت أتجادل كثيرًا مع هذا الصديق (جويل مانتون) ، فقد تلقى تربية علمية صارمة تجعله لا يؤمن إلا بالماديات .. وكان يضيق ذرعًا من ولعى بالغامض والذى لا تفسير له . وبرغم أنه كان يؤمن بالخوارق ربما أكثر منى ، فإنه يرى أن مهمة الأدب ليست أن يقدم للناس مهربًا من أعباء الحياة اليومية . وبالنسبة له كانت للأشياء والمشاعر أبعاد وخواص وأسباب وآثار ، وكان يضع خطًا فاصلاً يستبعد به كل ما لا يمكن للشخص العادى أن يفهمه ..

بالإضافة لهذا كان يؤمن أنه ما من شىء يمكن أن يكون « لا اسم له » حقًا .. فلم يبد له هذا معقولاً .

(*) عرفنا من قبل أن السير آرثر كونان دويل - مؤلف (شيرلوك هولمز) الشهير - كان مهتمًا بعالم تحضير الأرواح والسحر ..

أما أنا فى ذلك اليوم ، فكان مشهد شواهد القبور .. وأسقف بيوت المدينة المهجورة التى تسكنها الساحرات ، مما جعلنى راغبًا فى الجدل بحق ، ولقد حملت طعناتى إلى أرض عدوى ..

لم يكن عسيرًا أن أبدأ بهجمة مضادة ؛ لأننى كنت أعرف أن (جويل) نفسه مازال نصف متعلق ببعض خرافات العجائز ، التى نضج كثير من المثقفين كى يؤمنوا بها .. خرافات عن ظهور الأشخاص الذين ماتوا فى أماكن بعيدة ، ووجوه المتوفين التى تنطبع على زجاج النوافذ التى نظروا عبرها كثيرًا .. إن معنى هذا هو الإيمان بشىء يفوق المعايير المادية بكثير .. فلو كان بوسع صورة الميت الانتقال عبر القرون والأميال لتظهر لنا ، فكيف لا نؤمن بأن البيوت المهجورة تزخر بأشياء غامضة ؟ وكيف لا نفترض أن القبور مفعمة بذكاء بلا جسد تراكم عبر الأجيال ؟ وبما أن الأرواح لا تقيدها قوانين المادة ، فلماذا لا نفترض وجود أشباح لها أشكال آدمية ، لابد أن تبدو لمن يراها من البشر أشياء (لا اسم لها) ؟ إن التعقل فى فهم هذه الأمور ليس إلا افتقارًا إلى الخيال والمرونة العقلية ..

كان الشفق قد دنا ، لكن أحدنا لم يرغب فى إنهاء المحادثة .. لم يبد (جويل) متحمسًا لآرائى ، وبدا راغبًا فى دحضها بآرائه التى - حتمًا - كانت سبب نجاحه كمعلم .. بينما كنت أنا بالغ الثقة من منطقى ..

جاء الغسق ولمعت الأضواء عبر نوافذ ما من بعيد ، لكننا لم نتحرك .. كنت أعرف أن صديقى العقلانى المفتقر للشاعرية ، لن يعبأ بالشقوق المظلمة فى الجدران من خلفنا ، أو بالظلام الدامس فى البقعة التى يتمايل فيها بيت عتيق ، من القرن السابع عشر ، يفصلنا عن أقرب طريق مضىء .. هناك فى ظلام المقابر تكلمنا عن الذى لا اسم له . وبعد ما أنهى صديقى كلامه أخبرته بالدليل الرهيب وراء قصتى التى سخر منها أكثر من سواها ..

كان اسم قصتى (نافذة الصندرة) وقد نشرت فى يناير 1922 فى جريدة (الهمسة) . إن الشىء الذى تكلمت عنه مستحيل بيولوجيًا ، وهى مجرد حكاية مما يغمغم به القرويون ، وقد كتبتها بخفة كاتب طائش خيالى . لقد حكى (ماثر) من قبلى عن ذلك الشىء باعتباره قد ولد ، لكن ما من أحد إلا كاتب من

كتاب الإثارة يمكن أن يقول إنه كبر ، وإنه ينظر من نوافذ الناس ليلاً ، وإنه يتوارى فى صندرة بيت .. حتى يراه أحدهم من النافذة بعد قرون ولا يستطيع وصف ما يراه ، حتى إن شعر رأسه ابيض هلعًا ..

لم يصدق صديقى (مانتون) حرفًا حتى عرضت عليه بعض أوراق الأسرة ، التى يعود زمنها إلى ما بين عامى 1706 و 1723 ، وشرحت له سر الندوب على صدر جدى ، وحكيت له عن الجروح التى أصيب بها كثيرون هنا ، والتى تناقلت الأجيال قصصها .. وعن الفتى الذى دخل بيتًا مهجورًا عام 1739 ليبحث عن آثار معينة هناك ..

لقد كان عصرًا مخيفًا بلا حرية ولا جمال .. نرى هذا فى بقايا المبانى والأثاث والمواعظ المسمومة التى تركها لنا بعض الوعاظ المتشنجين .. لكن داخل هذا السجن الحديدىّ الصدئ كانت تحيا انحرافات شيطانية مؤكدة .. هنا إذن كان العصر الذهبى للذين لا اسم لهم ..

فى كتابه السادس عن الشياطين - والذى ينبغى ألا يقرؤه أحد بعد حلول الظلام - راح (كوتون ماثر)

بعناد وإصرار ، يحكى عن الوحش الذى جلب معه ما هو أكثر من وحش ، لكنه أقل من إنسان .. الشىء ذو العينين المشوهتين .. ربما لم يكن يعرف أو عرف ولم يجسر على الكلام ..

كان الناس يتهامسون عن القُفل الموضوع على الباب المفضى لسلم الصندرة ، فى منزل ذلك الرجل العجوز المريض الذى لم يرزق بأولاد ، وكيف أن هذا العجوز وضع شاهد قبر حجريًا بلا كتابة فوق قبر يجدر الابتعاد عنه ..

كل هذا وأكثر مكتوب فى مذكرات أجدادى .. تلميحات عن أشياء لها عيون شائهة ، تراها خلف النوافذ ليلاً أو فى المروج .. شىء ما قد تحرش بجدى فى واد مظلم وتركه بجروح على صدره ، كأنما أحدثتها قرون .. وآثار مخالب قرد على ظهره .. فلما بحثوا عن آثار أقدام على الأرض وجدوا ما يشبه الحوافر ..

قال أحد الفرسان ذات مرة : إنه رأى عجوزًا يطارد شيئًا مخيفًا بلا اسم فى ضوء القمر الخافت

قبل الفجر ، وقد صدقه كثيرون .. كان هناك كلام غريب عن ليلة معينة فى عام 1710 حين دفن العجوز المحطم الذى لا ابن له ، فى السرداب خلف داره .. ولم يفتح أحد باب الصندرة ، بل تركوا البيت كما هو يخشاه الجميع .. وحين كانت الضوضاء تأتى منه كانوا يرجفون فرقًا ويتهامسون ، ويأملون أن يكون القفل على الباب موصدًا بإحكام ..

وبمرور الزمن تتخذ الأسطورة طابعًا خاصًا .. إننى أفترض أن الشىء ـ لو كان شيئًا حيًا ـ قد مات .. وقد ظلت الذكرى حية مخيفة ؛ لأنها ظلت سرًا ..

فى أثناء سرد هذا الكلام لاحظت أن (مانتون) صار أميل للصمت ، وبدا لى أن قصتى أثرت فيه بشكل ما .. وحين انتهيت لم يسخر ، بل سألنى عن الصبى الذى جن عام 1739 وعن البطل الحقيقى لقصتى ..

حكيت له كيف أن الصبى ذهب إلى المنزل المهجور ، وحسب أنه سيجد شيئًا مثيرًا .. تسلل الصبى لينظر عبر نوافذ غرفة الصندرة المفزعة هذه ، ثم عاد وهو يصرخ فى جنون ..

هنا عادت لـ (مانتون) طبيعته التحليلية .. فافترض على سبيل الجدل أن هناك وحشًا خارقًا للطبيعة قد وجد فعلاً .. لكنه ذكرنى أنه حتى أبشع تحولات الطبيعة لا يمكن ألا يكون لها اسم .. حكيت له عن أساطير التجسدات المفزعة التى تظهر قرب المقابر ، وتهاجم عابرى السبيل ليلاً .. ولا أدرى إن كانت هذه التجسدات حقًّا تخنق الناس وتخيفهم حتى الموت أم لا ، لكنها كانت ذات تأثير قوى ، ومازال القوم المسنون هنا يخافونها برغم أن آخر جيلين قد نسيا هذه القصص .

لابد أن الوقت قد تأخر كثيرًا الآن .. احتك بى وطواط وحيد صموت ، وأعتقد أنه لمس (مانتون) كذلك ، وإن كنت لم أر هذا .. قال لى :

ـ «لكن ، هل مازال ذلك المنزل ذو الصندرة موجودًا ومهجورًا ؟»

أجبت :

ـ «نعم .. لقد رأيته ..»

- «وهل وجدت شيئًا هناك فى الصندرة أو أى مكان آخر ؟»

- « كانت هناك بعض عظام .. ربما هى ماراه الصبى .. ولو كان بالغ الحساسية ، لما احتاج إلى شىء يثير رعبه أكثر من هذا .. ولو كانت جميعها جاءت من كائن واحد ، فالأمر يتعلق بلغز مخيف حقًا .. لقد وجدت أنه من التجديف أن أترك هذه العظام حيث هى ، وعدت بحقيبة ونقلتها إلى تلك المقبرة خلف الدار .. كانت هناك فتحة مناسبة سهلت عملى .. لاتحسبنى معتوهًا .. كان عليك أن ترى الجمجمة .. لقد كان لها قرنان طول الواحد أربع بوصات ، لكن الوجه والفك شبيهان بوجهى ووجهك .. »

هنا شعرت بقشعريرة تنبعث فى جسد (مانتون) الذى التصق بى أكثر ، لكن فضوله كان لايرتوى :

- «وماذا عن زجاج النوافذ ؟»

- «لم يكن هناك .. لا أثر للزجاج فيها ، وإحدى النوافذ لم تكن ذات إطار أصلاً .. أحسب أنه لم يكن

فيها زجاج منذ مائة عام أو أكثر . ربما هشمها الصبى بنفسه .. »

- « لابد أن أرى هذا المنزل .. لابد أن أستكشفه .. والقبر الذى رميت فيه العظام .. والقبر الآخر الذى لاشاهد له .. لابد أن رؤيته مخيفة نوعًا .. »

- «بل كنت تراه بالفعل من مجلسنا هذا .. حتى ساد الظلام !»

كان تأثير هذا على صديقى أكثر مما توقعت بكثير من هذه اللمسة السحرية .. لقد ابتعد عنى فى توتر ونظر إلى بعيد ، وبالفعل أخرج صرخة قصيرة كانت منفذًا للتوترات التى يشعر بها .. كانت صرخة غريبة والمفزع هنا أن صوتًا آخر جاوبها .. لأننى سمعت بعدها صوت صرير عبر الظلام الدامس ، وعرفت أنه صوت النافذة تنفتح فى ذلك المنزل المشئوم بقربنا .. ولأن كل إطارات النوافذ قد سقطت ، فإننى عرفت أنه صوت نافذة تلك الصندرة ..

ثم هبت عاصفة من الهواء البارد المؤلم من ذلك الاتجاه الرهيب .. تبعتها صرخة تخرق السمع من

جوارى .. من ذلك القبر الذى حوى رفات الإنسان والوحش معًا .. وفى اللحظة التالية أطاحت بى من فوق مقعدى الكريه ، ضربة عاتية من كيان هائل الحجم ، غير محدود القوى .. فسقطت فوق ذلك القبر بأعشابه التى اقتلعت حتى الجذور .. بينما من القبر تعالى صوت عال من الشهيق والأزير ، جعلنى أتخيل حشدًا من الأرواح المشئومة .. ثم هبت دوامة من ريح ثلجية يقشعر لها البدن ، مع هدير قطع القرميد السائبة والجص .. لكننى فقدت رشدى لحسن الحظ قبل أن أتبين معناها ..

كان (مانتون) أصغر سنًا منى ، لكنه أكثر مرونة .. لأننا فتحنا عينينا فى اللحظة ذاتها برغم أن إصاباته كانت بالغة .. كان فراشانا متجاورين ، وعرفنا بعد ثوان أننا كنا فى مستشفى (سانت مارى) .. وكان المحيطون بنا يتحرقون شوقًا لسماع قصتنا ، وحاولوا إنعاش ذاكرتنا بأن حكوا لنا كيف وجدونا .. عرفنا أن فلاحًا وجدنا عند الظهر على بعد ميل من المقابر القديمة ، حيث كان هناك مذبح قديم . كان (مانتون) مصابًا بجرحين بليغين

فى الصدر وبعض سحجات فى ظهره .. أما أنا فلم أكن جريحًا ، لكنى كنت مكسوًا بالكدمات الغريبة بما فيها أثر حافر مشقوق .

كان واضحًا أن (مانتون) يعرف أكثر منى ، لكنه لم يقل الكثير لمن حولنا ، وزعم أننا هوجمنا من ثور غاضب .. فلما انصرف الأطباء سألته فى لهفة :

ـ «حسن يا (مانتون) .. ما سر هذه الجروح إذن ؟»

وكنت أكثر وهنًا من أن أتهلل حين أخبرنى بما توقعته :

ـ «كان فى كل مكان .. شىء كالجيلاتين أو الوحل إلا أنه كان ذا أشكال محددة .. ألف شكل من أشكال الرعب التى تفوق الذاكرة .. وكانت له عينان مشوهتان .. لقد كان هو الاضطراب الأعظم .. الشناعة المطلقة .. (كارتر) .. لقد كان هو الذى لا اسم له !»

1923

* * *

خلف جدار النوم ..

خلف جدار النوم ..

لطالما تساءلت عما إذا كان أكثر البشر قد توقفوا ليتأملوا أهمية الأحلام الهائلة ، والعالم المبهم الذى تنتمى إليه .. وإذا كان عدد كبير من رؤانا الليلية ربما لايزيد على انعكاسات لخبرات صحونا كما قال (فرويد) ، فإن جزءًا معينًا يظل بطبيعته الأثيرية ممتنعًا عن التفسير العادى ، ويعطينا تأثيره المقلق المثير لمحة خاطفة عن عالم عقلى لايقل أهمية عن العالم المادى ، لكن يفصله عنه جدار لايمكن تجاوزه .. ومن خبرتى لا أشك فى أن الإنسان حين يغيب عنه الوعى الأرضى ، إنما يقيم فى عالم آخر غير مادى يختلف كثيرًا عن الذى نعرفه . ومن هذه الذكريات المفتتة المبهمة قد نستنبط الكثير عند اليقظة ، لكننا لانبرهن إلا عن القليل . وأحيانًا أحسب أن تلك الحياة غير المادية قد تكون هى حياتنا الحقيقية ، وأن وجودنا على هذه الكرة المائية هو الشىء التخيلى .

كنت شابًا مفعمًا بهذه الأفكار حين أفقت ذات يوم فى شتاء 1900 – 1901 ، وحين عرفت الرجل الذى ظلت حالته تلاحقنى من وقتها بلا توقف . وكان اسمه كما سجل فى المصحة العقلية التى كنت طبيبًا فيها ، هو (جو سلاتر) أو(سلادر) ، وكان له سمت واحد من أهالى (كاتسكيل ماونتين) ، وهم سلالة غريبة من الفلاحين اعتزلت نحو ثلاثة قرون فى الريف الشاسع المهجور ، وأكسب هذا طباعهم انحطاطًا بربريًا . لم يكن لدى هؤلاء القوم مفهوم للأخلاق ولا القانون ، ومستوى ذكائهم أقل بكثير من مستوى أى من الأمريكيين الأصليين .

لم يبد شىء من هذه الخطورة على (جو سلاتر) حين جاء إلى المصحة ، مخفورًا بأربعة من رجال شرطة المقاطعة ، وقد وصفوه بأنه رجل خطير جدًا . وبرغم أن قوامه كان أضخم من المعتاد ، وبرغم قوته العضلية ، فإنه كان يوحى بالغباء غير المؤذى يتبدى فى عينيه المائيتين الزرقاوين الشاحبتين . كان سنه غير محدد لكننا استنتجنا من

الصلع فى مقدمة رأسه ، وتحلل أسنانه أنه فى الأربعين من العمر .

عرفنا من ملفات الشرطة أنه متسول وصياد وصانع فخاخ .. وأنه كان دومًا غريبًا بالنسبة لقومه .. كان ينام فى ساعة متأخرة من الليل ، ثم يصحو فيتكلم عن رؤى شاذة ، تثير الهلع حتى فى قلوب القوم الذين يفتقرون إلى الخيال .. وكان هو نفسه خائفًا مذعورًا مثل مستمعيه .. وبعد ساعة من الاستيقاظ ينسى كل ما قال ، أو ينسى ما جعله يقول ما قال ، ويعود لطبيعة سكان الجبال اللطيفة الطلقة .

وكلما تقدم (سلاتر) فى العمر كانت حالته تزداد توحشًا وعنفًا ، ثم حدثت المأساة التى قادته إلى المصحة منذ شهر واحد .

ذات يوم صحا عند الظهيرة بعد سبات طويل ، وراح يعوى عواءً مخيفًا غير أرضى ، حتى إن الجيران هرعوا إلى كوخه القذر . ومندفعًا إلى الجليد بالخارج رفع ذراعيه لأعلى ، وقام بعدة وثبات

نحو السماء ، وهو يتحدث عن بلوغ «كوخ كبير كبير .. يتألق سقفه وجدرانه .. بينما الموسيقا الغريبة البعيدة تأتى من بعيد .. » حاول رجلان أن يمسكا به فقاومهما بوحشية ، وراح يتكلم عن حاجته إلى قتل شىء «يلمع ويهتز ضحكًا .. »

ضرب أحدهما ، ثم وثب على الآخر بوحشية شيطانية دموية ، وراح يصرخ أنه «سيثب فى الهواء ، ويحرق كل ما يعوقه .. »

فرت الأسرة والجيران ذعرًا ، وحين عادوا مستجمعين شجاعتهم لم يجدوا (سلاتر) ، لكنهم وجدوا شيئًا يصعب تعرفه ، كان إنسانًا من ساعات ..

ولم يحاول سكان الجبل البحث عن (سلاتر) ، وتمنوا أن يكون قد هلك من البرد ، لكنهم بعد أيام سمعوا صراخه من واد ضيق سحيق .. فعرفوا أنه مازال حيًا .. كونوا مجموعة مسلحة منهم ، ولحق بهم أحد رجال الشرطة النادرين فى هذه الأصقاع . وفى اليوم الثالث وجدوا (سلاتر) فاقد الرشد فى

تجويف شجرة ، واقتادوه إلى أقرب سجن . حيث فحصه أطباء عقليون منتدبون من (ألبانى) .. ولهم حكى الرجل قصة بسيطة ..

قال لهم إنه نام بعد ظهر يوم ، وصحا ليجد أنه واقف فى الجليد خارج كوخه ، ووجد يديه ملوثتين بالدم ، وجثة جاره (بيتر سلادر) مشوهة ملقاة عند قدميه .. فر وقد أصابه الهلع إلى الأحراش مبتعدًا عما حسبه جريمته .. لم تكن هناك حقائق أكثر بوسعه تقديمها ، أو بوسع مستنطقيه استخراجها منه ..

وقضى (سلادر) ليلته دون أحداث ، إلا أنه فى الصباح خطر لدكتور (بارنارد) الذى كان يراقب المريض ، أنه رأى بريقًا ما فى عينيه الشاحبتين ، كما أنه شفته أظهرت حزمًا ذكيًا . إلا أنه عند الاستجواب لم يبد (سلادر) إلا الخواء العقلى المميز لسكان البلاد ، وكرر فقط ما قاله فى اليوم السابق ..

فى اليوم الثالث حدثت أول نوبات الرجل العقلية ، فبعد نوم قلق انفجر فى جنون قوى ، إلى درجة أن

الأمر اقتضى أربعة رجال ليضعوه فى قميص الأكمام .. وأصغى الأطباء بعناية إلى هذيانه الذى استمر نحو ربع ساعة ، وراح يتكلم عن الصروح الخضراء المضيئة ، وعن الموسيقا الغريبة ، وعن الكيان الغامض الذى يهتز ويسخر منه .. وكانت قمة رغباته أن يفتك بهذا الكيان العجيب ..

ثم انتهت نوبة الهذيان ، فخبا بريق الجنون من عينيه ، وسأل الأطباء عن سبب تقييده هكذا .. وقد فك الأطباء الحزام الجلدى عنه ، ثم أقنعوه بارتدائه لمصلحته الخاصة وبإرادته ..

كان الأطباء حائرين بصدد مصدر قصص (سلادر) ، فهو لايقرأ ولا يكتب .. ولا يمكن لتخيلاته أن تجىء من أية أسطورة أو خرافة شائعة .. كان يعبر بطريقته الخاصة ، ويهذى بأشياء لا يفهم كنهها ..

وسرعان ما اتفق الأطباء على أن الأحلام الغريبة هى أساس المشكلة .. أحلام قادرة على السيطرة على العقل المتيقظ لهذا الرجل التعس .. وهكذا حوكم (سلادر) بتهمة القتل ، وأفرج عنه

للجنون وعهد به إلى المصحة ، التى أتولى فيها منصبًا شديد التواضع ..

وكما تعرفون وقتها ، كنت بالغ الاهتمام بالأحلام ، لذا يمكنكم تخيل الحماس الذى شعرت به حين سمعت عن حالته .. وبدا أنه يجد صداقة ما فى شخصى .. ربما بسبب الطريقة الرقيقة التى كنت أستجوبه بها . لم تتصل به أسرته قط ، وربما وجدت لنفسها رب أسرة آخر ، كما هو دأب سكان الجبال ..

وكنت أصغى لخيالاته وأتساءل : كيف لمخلوق محدود الذكاء من سكان الجبال ، أن يملك هذا البريق من الخيال الجدير بعبقرى ؟ وكان ملخص أبحاثى هو أنه ـ فى عالم الأحلام غير المادى ـ سبح (سلاتر) عبر وديان مذهلة خلابة ، وحدائق ورياض ومدن فى منطقة لا يعرفها البشر ، وهناك لم يعد فلاحًا جاهلاً ، بل هو شخص مهم يتحرك بثقة .. لا يتهدده إلا كيان أثيرى مجهول لا يبدو أنه ذو مظهر بشرى . هذا الشىء قد آذى (سلادر) أذى مخيفًا لكن لا يمكن وصفه ، ومن هنا اشتاق (سلادر)

إلى الانتقام .. وبدا لى أن علاقة ما تربطه بالكائن المضىء فى أحلامه .. لا أدرى كيف ، لكنه كان يعتبر نفسه وعدوه كيانين مضيئين من النوع ذاته .. وخطر لى أكثر من مرة أنه لو كانت الأحلام عالمًا ماديًا ، فإن اللغة المنطوقة لا تصلح وسيطًا لشرح هذا العالم . لم أخبر الأطباء الأكبر سنًا بهذا ؛ لأن منتصف العمر أميل إلى النقد والسخرية ورفض الأفكار الجديدة .. ثم إن مدير المصحة قد أنذرنى من قبل أننى أفرط فى العمل ، وأن عقلى بحاجة إلى راحة ..

كان لدى يقين أن الأفكار الآدمية هى عبارة عن حركة ذرات ، يمكن تحويلها إلى طاقة كالحرارة والضوء والكهرباء .. وهذا اليقين جعلنى أفكر فى إمكانية التخاطر (تليباثى) باستخدام جهاز خاص ، ولقد أعددت فى سِنِى الكلية جهازًا خشنًا للإرسال والاستقبال ، أقرب إلى جهاز التلغراف فى تلك السنين التى سبقت اختراع اللاسلكى .. وجربت

الجهاز دون نجاح على زميل ، ثم وضعته مع أشياء أخرى للاستعمال فى يوم ما ..

أما وقد قابلت (سلاتر) فقد أخرجت هذه الآلات وأعدت إصلاحها ، ونظرًا لحماستى قررت أن أجربها فى أول فرصة .. ولسوف أتحين أول فرصة من نوبات (سلاتر) لأضع تلك الموصلات على جبينه ، والمستقبل على رأسى .. بالطبع لم أخبر أحدًا بتجاربى لكننى واصلت الإعداد لها ..

وفى اليوم الواحد والعشرين من فبراير عام 1901 حدث الشىء . وإذ أنظر للأحداث الآن أشعر كم هى غير حقيقية ، وأتساءل ما إذا كان دكتور (فنتون) العجوز محقًا حين اتهم خيالى المتوتر . لقد أصغى لى بأبوية وهدوء ، ثم أمر لى بمسحوق مقوٍّ للأعصاب ، وأمرنى بالقيام بإجازتى السنوية بعد أسبوع من هذا ..

فى تلك الليلة كنت مهتاجًا حقًا ؛ لأن (جو سلاتر) ـ برغم العناية الممتازة التى يلقاها ـ كان بالتأكيد يموت .. ربما هى حريته فى الجبال التى يفتقدها ،

أو ربما اضطراب عقله قد فاق تحمل جسده .. وفى النهاية صار خمولاً ، وإذ هبط الظلام ، غاب فى نوم غير مريح ..

لم أربطه بالحزام الجلدى ؛ لأنه كان أكثر وهنًا من أن يكون خطرًا .. لكننى وضعت على جبينه قطبى جهاز (الراديو) الكونى . وتمنيت دون أمل كبير أن أتلقى رسالة أخيرة من عالم الأحلام فى الوقت القصير الباقى .. وعلى جبينى ثبتّ جهاز الاستقبال ..

كان صوت موسيقا غريبة هو ما أثار انتباهى .. ذبذبات .. نغمات .. أوتار .. وأمام عينى برز مشهد جميل لا يصدق لجدران .. عواميد تستند إلى نيران حية ، تلتمع حول البقعة التى شعرت أننى أحلق فيها عاليًا .. وامتزجت بهذا العرض البلاطى الفخيم ، لمحات من سهول واسعة ووديان خصيبة وجبال عالية ، يكسو قممها كل مشهد ساحر تستطيع عيناى أن تراه ..

وأدركت أن عقلى يملك مفتاح تلكم التحولات الساحرة .. وسط هذا الكون الفردوسى لم أمض

كغريب ؛ لأن كل هذه المشاهد بدت مألوفة لى .. كما بدت لآباد من البشر من قبلى ، وكما ستبدو لهم من بعدى ..

ثم جاء الطيف اللامع لأخى فى الضياء ، وراح يتكلم معى روحًا إلى روح . كانت تلك ساعة نصر لأن رفيقى يفر أخيرًا من عبودية دائمة ، ليغيب وسط الأثير السرمدى .

سبحنا هكذا لبرهة من الوقت ، حين بدأت أشعر باضطراب وزيغ فى الموجودات من حولنا .. كأن قوة ما تجذبنى ثانية إلى الأرض ، آخر مكان وددت أن أكون فيه الآن . وشعر الشكل الذى يحلق جوارى بتغير كذلك ؛ لأنه أنهى محادثته تدريجيًا ، واستعد ليختفى بعيدًا عن عينى . وعرفت منه أننا عائدان إلى القيود من جديد ، لكن بالنسبة له ستكون هذه آخر مرة .. وخلال أقل من ساعة سيذهب رفيقى عبر الطريق اللبنى فى المجرة إلى حدود الأبدية ..

وكان هناك ما يشبه الصدمة حين نهضت فجأة من مقعدى ، ورأيت المحتضر على الأريكة يتحرك

حركة مترددة .. كان (جو سلاتر) ينهض حقًا ، لكن فى الغالب لآخر مرة . وإذ دققت النظر رأيت أن خديه الضامرين يتألقان بلون لم أعهده فيهما من قبل .. الشفتان كذلك كانتا مزمومتين كأنما تتحكم فيهما شخصية أقوى ..

أعدت إحكام جهاز الاستقبال على رأسى آملاً أن ألتقط أية رسالة أخيرة يحاول المتوفى بثها ..

فجأة استدار الرأس نحوى ، وانفتحت العينان مما جعلنى أرتجف رعبًا مما رأيت .. إن الرجل الذى كان (جو سلاتر) يرمقنى الآن بعينين لامعتين واسعتين ، بدا كأن أزرقهما قد ازداد قتامة .. ولم يخامرنى شك أننى أحدق فى وجه يكمن خلفه عقل من رتبة أعلى من عقولنا ..

وسرعان ما وصلت الرسالة التى كنت أرتقبها ، وكانت بلغة الأفكار لكنها جلية جدًا .. إلى حد أننى حسبتنى أتلقاها بالإنجليزية ..

- « (جو سلاتر) قد مات .. »

جاءنى الصوت الذى تحجرت لسماعه روحى ، من مكان ما خلف جدار النوم .. ونظرت عيناى إلى أريكة الألم ، لكن العينين الزرقاوين كانتا بعد تحملقان .. «من الخير له أن يموت .. لأنه ما كان ليحتمل الهوية الكونية .. جسده لا يستطيع أن يضبط نفسه لحياة الأثير . لقد كان أقرب إلى الحيوان وبعيدًا جدًا عن الإنسان .. لكن عن طريقه جاءتك الفرصة لتقابلنى ؛ لأن كائنات الأثير لا تلتقى مع كائنات الكواكب أبدًا ..

«أنا كيان شبيه بالذى تكونه أنت نفسك عندما يحررك النوم .. أنا أخوك الضوئى .. نحن نحيا فى فضاء بلانهاية ، ونعيش فى زمن بلانهاية .. أنا وأنتَ قد جلنا العوالم المحيطة بـ (آركتوس) ، وعشنا داخل الفلاسفة الحشرات الذين يعيشون فوق رابع أقمار المشترى ..

«لا أستطيع الكلام أكثر ؛ لأن جسد (سلاتر) قد برد وتصلب وكف مخه عن إرسال الموجات .. كنت أنت صديقى الوحيد على هذا الكوكب .. الوحيد الذى بحث عنى فى رأس هذا المخلوق الراقد على الأريكة .

سنلتقى ثانية .. ربما فى الضباب المتألق لـ (أوريون) .. أو على قمة جبل فى آسيا فى عصور ما قبل التاريخ .. ربما فى حلم تراه الليلة ولن تتذكره .. أما الآن فأنا راحل .. يمكنك أن ترى الضوء المنبعث منى إذا نظرت الليلة إلى السماء ، قرب تلك النجمة التى تسمونها (ألجول) أو (نجمة العفريت) .. »

وهنا توقفت موجات الأفكار ، وعدت أرمق العينين الزجاجيتين الميتتين .. زحفت إلى معصمه وتحسست نبضه ، لكنه كان معصمًا متصلبًا باردًا .. وانفتح الفم كاشفًا عن أسنان (سلاتر) المتآكلة ..

غطيت وجهه بالملاءة ثم عدت إلى غرفتى .. كنت بحاجة إلى نوم لا أتذكر أحلامه فيما بعد ..

والمغزى ؟ أنا لم أفعل سوى أن حكيت لك أحداثًا مرت بى ، تاركًا لك أن تفسرها كما تشتهى .. وكما قلت آنفًا ، فإن رئيسى الدكتور (فنتون) ينفى كل ما حكيته .. ويقسم إننى انهرت من الإرهاق العصبى ، وأننى بحاجة إلى إجازة براتب .. إن (سلاتر) ليس إلا مريض بارانويا ، تنبع هلاوسه من القصص الشعبية حيث نشأ ..

لكننى لم أستطع نسيان ما رأيت فى السماء ليلة مات (سلاتر) .. لن أحكى شيئًا لكننى سأترك الكلام بالحرف للتقرير الذى كتبه عالم الفلك العظيم الأستاذ (جاريت سيرفيس) :

«فى 22 فبراير 1901 ظهر نجم جديد مدهش ، فى موضع غير بعيد عن النجمة (ألجول) ، ولم يكن أحد قد رأى نجومًا عند هذه النقطة من قبل .. وخلال أربع وعشرين ساعة صار النجم متألقًا ، حتى إنه أخفى ضوء النجمة (كابيللا) ، وبعد أسبوعين بدأ ضوؤه يخبو .. وخلال بضعة أشهر لن يتمكن أحد من رؤيته بالعين المجردة ثانية » .

1919

★ ★ ★

الشجرة

الشجـرة..

عنـد منحـدر تغطيـه الأعشــاب مــن جبـل (مينـالوس) فـى (أركاديا) ، توجد أيكـة زيتـون جـوار أطـلال دارة قديمـة .. جـوار الأيكـة ذاتهـا قبر كان بهى الجمال فيما مضى ، وعليه آيات من النحت الساحر ، لكنه الآن تحلل كما المنزل .. وعند طرف القبر نمت شجرة زيتون ، استطاعت جذورهـا أن تخترق الرخـام اختراقًا .. شجرة زيتـون منفـرة المنظر ، كأنها رجل مخيـف أو جسد إنسان شوهه الموت ، حتى إن القرويين يخشون المـرور جوارهـا ليلاً حين يبزغ القمر بين الأغصان المهشمة ..

إن جبل (مينـالوس) مكـان مسكون بـ (بـان) المخيف الذى يتبعه كثيرون ، ويشـك القرويون فـى وجود علاقة بين الشـجرة وهؤلاء ، لكن أحد مربى النحل الذى يعيش فى كوخ مجاور حكى لـى قصـة تختلف ..

منذ أعوام حين كانت تلك الدارة جديدة متألقة ، عاش فيها نحاتان هما (كالوس) و (موسيدس) . وكان عملهما يُمتدح من (ليديا) إلى (نيابوليس) ، ولم يجسر واحد أن يقول إن أحدهما كان يفوق الآخر مهارة . كان كل الناس يمتدحون النحاتين ، ولم يخطر لأحد أن الغيرة الفنية قد تعكر صفو صداقتهما الأخوية ..

لكن طباع (كالوس) و(موسيدس) لم تكن متماثلة ؛ فبينما كان (موسيدس) يعربد ليلاً وسط ملاهى (تيجيا) ، كان (كالوس) يبقى فى داره ينعم بالجلوس فى الأيكة .. وهناك يتأمل فى الرؤى التى تفعم عقله ، ويصمم الروائع التى سيخلدها من الرخام الذى يتنفس .. وقال البسطاء إنه يستلهم الوحى من الأرواح التى تسكن الأيكة ؛ لأنه لم يكن يتخذ أية موديل حية معروفة .. وقيل إنه يستلهم حوريات الغابة بارعات الحسن ..

مشهوران هما (كالوس) و(موسيدس) حتى إن أحدًا لم يندهش ، حين أرسل طاغية (سيراكوزا)

رجاله إليهما ، ليتفقوا على تمثال (تايك) الذى أراد أن يشيده فى المدينة .. يجب أن يكون التمثال هائل الحجم بارع الصنع ؛ لأنه سيكون عجيبة البلاد ومقصد المسافرين .. ومن أجل هذا الشرف طلب من (كالوس) و(موسيدس) أن يتنافسا .. وطلب منهما ألا يخفى أحدهما عمله عن الآخر ، بل يمنحه النصح والرأى ، وهكذا سيكون لدى المدينة تمثالان أجملهما يذوى أمامه خيال الشعراء ..

رحب النحاتان بعرض الطاغية ، ولأيام لم يسمع الخدم إلا ضربات الأزاميل .. ولم يخف (كالوس) و(موسيدس) ما صنعاه عن بعضهما ، لكنهما أخفياه عن العالم .. ذلك الجمال الذى كان حبيس الصخر منذ الخليقة ، بانتظار إزميل بارع يحرره ..

وفى الليل ـ كما فى الماضى ـ كان (موسيدس) يقصد ملاهى (تيجيا) ، بينما (كالوس) يهيم فى أيكة الزيتون .. ولكن إذ مضى الوقت لاحظ الناس فى (موسيدس) افتقارًا إلى المرح ، وبدا لهم هذا غريبًا .. ومر الوقت ، لكن فى وجه (موسيدس) لم يبد ذلك الحماس المتوقد المتوقع ..

ثم ذات يوم تكلم (موسيدس) عن مرض أصاب (كالوس) ، عندها فهم الجميع سر اكتئابه لأن صداقة الرجلين كانت قوية مقدسة .. ذهب كثيرون ليروا (كالوس) ، وبالفعل كان وجهه شاحبًا لكنه كان سعيدًا ، مما أعطى نظرته سحرًا يفوق نظرة (موسيدس) ، الذى كان شاردًا مشتتًا ، وقد أبعد كل العبيد عن صديقه ليتفرغ للعناية به .. وخلف الستائر كان تمثالان لـ (تايك) لم يمسهما المريض وصاحبه من زمن ..

وازداد وهن (كالوس) برغم محاولات الأطباء الحائرين ، وعناية صديقه (الفائقة) به ، ومرارًا تمنى أن يحملوه إلى الأيكة التى أحبها ..

وجاءت النهاية ليرحل (كالوس) عن عالمنا هذا ، وبكى (موسيدس) كثيرًا ، ووعد صاحبه بضريح رخامى أجمل من قبر (موسولوس) .. لكن (كالوس) منعه من الكلام عن الرخام ثانية ، ولم يطلب منه إلا شيئًا واحدًا : أن تدفن فروع من أشجار زيتون معينة جوار قبره لصيقة برأسه .. وسرعان ما مات ..

جميل بما يفوق الوصف .. ذلك الضريح الذى بناه ونحته (موسيدس) لصديقه الحبيب .. ولم ينس أن يزرع غصون الزيتون كما طلب (كالوس) ..

فما إن انتهى الحزن حتى بدأ (موسيدس) يعمل فى تمثال (تايك) .. الآن صار المجد مجده بالتأكيد ، وراح يعمل بلا انقطاع .. أما فى الليل فكان يسهر جوار قبر صاحبه ، حيث نمت شجرة زيتون قرب رأس النائم .. كان نمو الشجرة سريعًا للغاية ، وكان شكلها غريبًا يوحى بالافتتان والنفور معًا ..

بعد ثلاثة أعوام من وفاة (كالوس) أرسل (موسيدس) رسالة إلى الطاغية ، وتهامس القوم فى أسواق (أثينا) أن التمثال العظيم قد انتهى .. فى الآن ذاته كانت الشجرة قد بلغت حجمًا خرافيًا يفوق أية شجرة أخرى .. وجاء كثيرون ليروا الشجرة وينعموا بنحت (موسيدس) .. بهذا لم يعد الفنان وحيدًا قط ، لكنه لم يتضايق لهذا .. بالأحرى كان يهاب الوحدة بعد ما انتهى العمل الذى شغف حواسه ..

كانت السماء سوداء فى الليلة التى جاء فيها رسل الطاغية إلى (تيجيا) .. وعرف الجميع أنهم جاءوا ليحملوا تمثال (تايك) العظيم ، ويجلبوا المجد لـ (موسيدس) ..

كان الرجال سعداء ، وقد راحوا يتحدثون عن الطاغية المتألق ، وعن عاصمته العظيمة .. ثم تكلم رجال (تيجيا) عن طيبة قلب (موسيدس) وصلاحه ، ومدى حزنه من أجل فقد صاحبه ..

تزايد عواء الريح فشعر رجال (سيراكوزا) و (أركاديا) بالتوتر ، وصلوا ..

وفى الصباح اتجه رسل الطاغية إلى المنحدر ليروا التمثال ، لكن ريح الليل كانت قد فعلت أشياء غريبة .. كان صراخ العبيد يتعالى من بين الخرائب ، ولم يبد أثر لغرفة نحت (موسيدس) .. لأن فوق هذا البناء السخى المترف قد سقط غصن ثقيل من الشجرة الجديدة ، ليحيل تلك القصيدة البارعة المنحوتة من الرخام إلى حطام قبيح . ووقف الغرباء وسكان (تيجيا) يرمقون تلك

الشجرة العجيبة التى تمتد جذورها إلى أعماق قبر (كالوس) ، والتى بدت بشرية تمامًا فى هذه اللحظة .. أصابهم الهلع وازدادوا هلعًا حين راحوا يبحثون عن (موسيدس) وسط الحطام ، فلم يجدوا له أثرًا ..

حزن الفريقان .. أهل (سيراكوزا) حزنوا ؛ لأنه لم يعد تمثال يحملونه إلى الوطن ، وأهل (تيجيا) ؛ لأنه لم يعد عندهم فنان يتوجونه .. وانصرفوا كاسفى البال ..

إلا أن أيكة الزيتون ما زالت هناك .. كما مازالت الشجرة التى تخرج من قبر (كالوس) ..

وقال لى مربى النحل العجوز إن الأغصان تهمس لبعضها مرارًا وتكرارًا فى رياح الليل :

ـ « أويدا أويدا ! (أنا أعرف .. أنا أعرف !) » .

* * *

الصورة فى المنزل

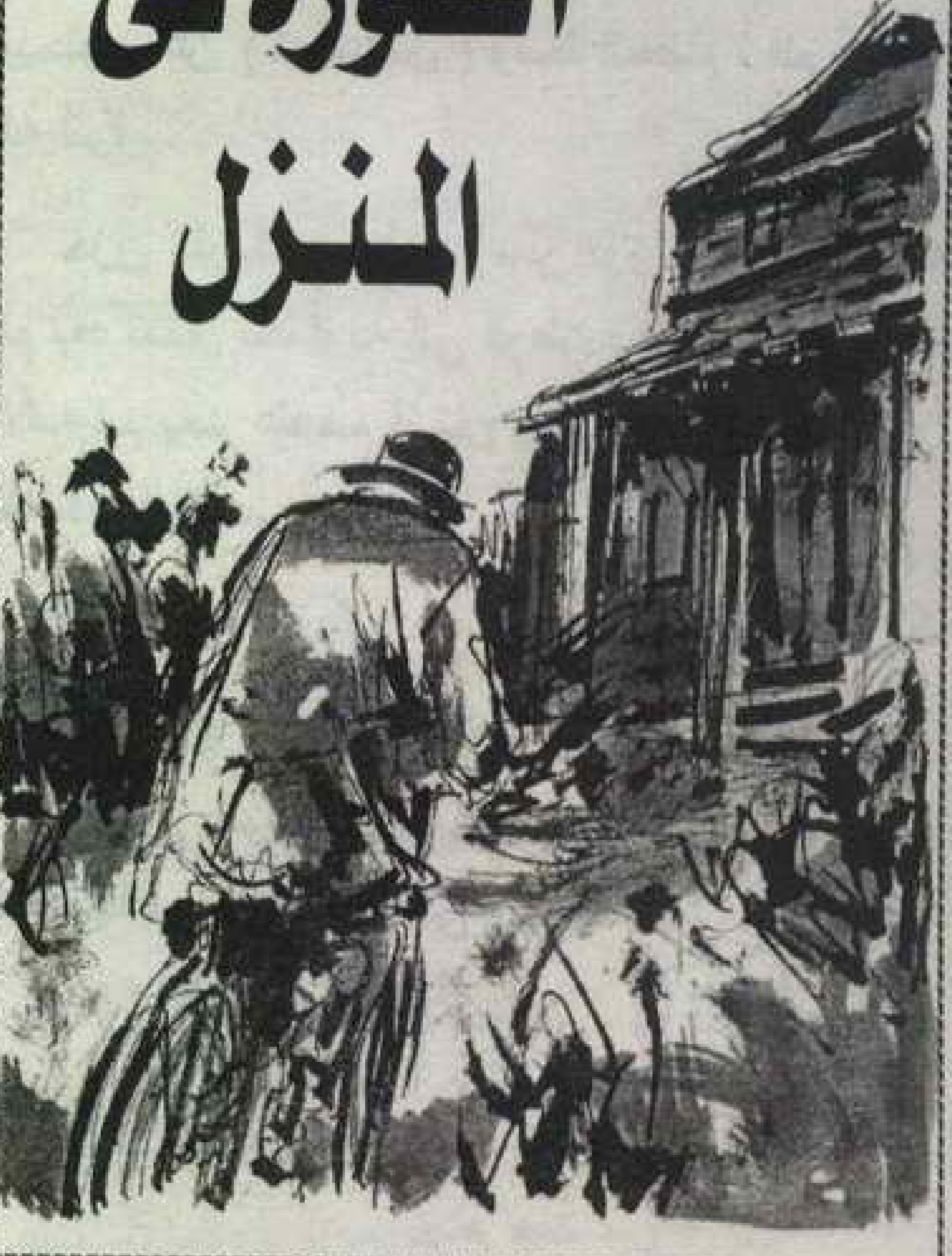

الصورة فى المنزل ..

إن الباحثين عن الرعب يقصدون عادة أماكن غريبة نائية .. ومن أجلهم وجدت سراديب الموتى من عصر البطالمة ، والأضرحة المنحوتة فى بلدان كابوسية ، ومن أجل الرعب يتسلقون أبراج القلاع الخربة فى الراين ، ويصعدون الدرجات التى يغطيها نسيج العناكب فى المدن المنسية فى آسيا .. الغابات المسكونة والجبال المهجورة هى مزارهم .. لكن أفضل هذه الأماكن طرًا هو المزارع المهجورة فى (نيوإنجلند) ؛ لأن عناصر القوة والوحدة والشناعة والجهل ، تجتمع هناك لتصل إلى الكمال فى فن البشاعة ..

أما أكثر الأماكن رعبًا فهى تلك البيوت الخشبية غير المطلية البعيدة عن الطرق المأهولة .. منذ مائتى عام شيدت هنا حين زحفت الأغصان وتشعبت ، وهى الآن متوارية تمامًا وسط فوضى

اللون الأخضر ، لكن النوافذ مازالت تطل بشكل مفزع ، كأنما ترمش فى نعاس طويل قاتل ، تحاول به أن تنسى ما رأته كى لا تصاب بالجنون ..

وفى هذه البيوت عاشت أجيال من قوم غريبى الأطوار ، لم ير لهم العالم مثيلاً من قبل .. لقد طلبوا الحرية كوحوش البرية ، ولكنهم خضعوا فى رعب للخيالات الكئيبة التى أعاشتهم فيها عقولهم .. ولقد تفاعل بعدهم عن سبل الحضارة مع كبتهم المستمر وكفاحهم من أجل الحياة ، كى تتسلل إليهم عادات تمت بصلة لأجدادهم الشماليين البدائيين .. بالفلسفة كانوا قساة ، وبالضرورة كانوا عمليين ، لذا تعلموا أن يخفوا خطاياهم التى لم تكن جميلة قط .. وسرعان ما أصبح الكتمان عادة ..

فقط تقدر النوافذ فى المنازل أن تخبرنا عما حدث هنا فى قديم الزمن ، وما كانت لتثرثر كثيرًا ؛ لأنه ما من شىء يغريها بالتخلص من النعاس الذى يساعدها على النسيان .. أحيانًا يخطر للمرء أنه من الرحمة أن تدمر هذه المنازل ؛ لأنها تحلم بالكوابيس طيلة الوقت ..

عرفت هذا وأكثر فى عصر يوم من أيام نوفمبر ، وتحت مطر غزير جعلنى أشتهى الاحتماء تحت أى سقف .. كنت أسافر مع قوم من وادى (مسكاتون) ، أدرس أجناس القوم هنا .. وبحماقة اتخذت من دراجة وسيلة للسفر ، وهأنذا الآن فى طريق مهجور ، هو الوحيد الذى يقودنى إلى (آرخام) .

كانت العاصفة شديدة ولا ملجأ هناك .. إلا البيت الخشبى الكئيب ، الذى تلمع نافذته بين أوراق الأشجار الغليظة ، عند سفح التل الصخرى .. إن الأماكن الطيبة الودود لا تحدق فى المسافرين بهذا الإصرار ، وكنت قد سمعت فى بحثى أساطير قرن كامل ، مما جعلنى أتوجس من مكان كهذا .. لكن الظروف كانت قاهرة إلى حد أننى لم أتردد فى أن أرفع دراجتى عبر المنحدر ، نحو الباب الذى بدا موحيًا غامضًا ..

وكنت قد افترضت فى البدء أن المنزل مهجور ، لكنى نظرت إلى الأرض التى أمشى عليها .. حقًا كانت الأعشاب نامية ، لكن حالتها كانت أفضل من أن

توحى بقفر تام .. لهذا لم أفتح الباب ، لكنى قرعته شاعرًا برجفة لا يمكن وصفها .. ولاحظت أن النوافذ لامعة غير مهشمة ، مما يعنى أن المنزل مأهول ، برغم أنه لا يلقى أية عناية .. لم تلق قرعاتى إجابة ، فجربت المزلاج الصدئ ، فوجدت أن الباب غير موصد ..

بالداخل كان المدخل مغطى بدهان تساقط أكثره .. وشممت رائحة خفيفة لكنها كريهة بشكل خاص .. حملت دراجتى ودخلت .. وأرحتها على الجدار ، ثم فتحت الباب على يسارى .. بدا لى أن هذه غرفة جلوس ، ذات سقف واطئ مضاءة بضوء خافت من نافذتين ، ومفروشة بأقل وأبسط أثاث .. كانت بها منضدة ومقاعد ، وبعض كتب لم أستطع قراءة عناوينها فى الضوء الخافت .. لكن ما أثار انتباهى بحق هو الطابع العتيق الكامل لهذه الغرفة .. لقد بحثت فى كل ركن فلم أر أثرًا واحدًا ، يمكن أن يمت لعصر ما بعد الحرب الأهلية الأمريكية . يمكن أن يعد هذا المكان جنة لهواة جمع العاديات .. لولا ما فى الجو من شىء مقيت .. شىء يوحى بأسرار يحسن أن تنسى ..

كان هناك كتاب على المنضدة .. كتاب عتيق جدًا إلى حد أننى اندهشت لرؤيته خارج المتاحف .. كان مجلدًا بالجلد مع جوانب معدنية ، وكان فى حالة ممتازة يصعب أن تراها فى منزل كهذا ..

فتحت الصفحة الأولى فازدادت دهشتى .. لأنه كان وصف (بيجافيتا) لمنطقة (الكونغو) ، مكتوبًا باللاتينية وطبع فى ألمانيا عام 1589 .. أثار هذا دهشتى ، ورحت أطالع الصفحات منبهرًا .. كانت به رسوم تمثل الزنوج بطريقة خيالية ، ترسمهم بملامح أوروبية وجلود بيضاء .. هنا حدث شىء زاد من توتر أعصابى وشعورى بعدم الراحة .. إنها تلك الطريقة التى ظل المجلد كلما سقط منى ، يفتح نفسه على الصورة رقم 12 ، التى تمثل مشهدًا شنيعًا لمتجر جزار من أكلة لحوم البشر (الأنزيك) .. خجلت من نفسى لحساسيتى ، لكنى لم أحب الصورة قط ، خاصة مع الفقرة التى تصف تحتها عادات الأكل لدى (الأنزيك) ..

كنت أتأمل باقى الكتب ، ومنها الإنجيل ، وكتاب (تقدم الحاج) ، و .... حين تناهى إلىّ صوت خطوات لا يمكن أن تخطئه ، تتحرك فوق رأسى .. كأنما نائم قد صحا أخيرًا بعد نعاس طيب .. صوت الخطوات تهبط الدرج ببطء .. كانت خطوات ثقيلة لم أحبها ، خاصة مع ما بدا فيها من حذر ..

كنت عند دخولى قد أغلقت الباب خلفى ، والآن أسمع خطوات القادم فى المدخل ، كأنما يتفحص دراجتى هناك .. ثم بعد لحظة ظهر عند فرجة الباب شكل ، لم يمنعنى من إطلاق صيحة دهشة لرؤيته إلا تربيتى الحسنة .. عجوز ذو لحية بيضاء له سحنة تجمع بين الاحترام والعجب .. لم يزد طوله على ستة أقدام وكان قوى البنية ، برغم ما يوحى به من فقر وشيخوخة .. عيناه الزرقاوان برغم أن الدم يخالط لونهما ، بدتا مخلصتين نفاذتين .. لكن هندامه القطيع وقذارته جعلا منظره منفرًا برغم وجهه .. أما ما كان يلبس بالضبط ، فهذا شىء لا أستطيع الإمساك به ..

دعانى إلى الجلوس على مقعد ، ثم بدأ يتكلم بصوت واهن متعب ، وكانت لغته غريبة جدًا ، هى نموذج للهجة الشمال التى حسبتها انقرضت ..

قال لى :

ـ «اتزنقت فى المطر ؟ هه ؟ كويس إنك كنت جنب البيت ، وفكرت تيجى .. أنا كنت نايم وسمعى ما بقاش زى زمان .. مسافر ليه ؟ أنا بقى لى كتير ما باشوفش ناس على السكة دى ، من ساعة ما مشيت عربة (آرخام) .. »

قلت له إننى ذاهب إلى (آرخام) ، واعتذرت لاقتحامى بيته بهذه الكيفية .. لكنه قال :

ـ «كويس إنى شفتك .. الوجوه الجديدة قليلة هنا .. وما فيش حاجة تسلينى .. إنت من المدينة .. مش كده ؟ أنا بعرف راجل المدينة لما أشوفه .. »

كان بحق رجلاً لطيف المعشر ، لكن له طباعًا غريبة .. ولمدة دقائق راح يثرثر بمرح ، حتى عن لى أن أسأله كيف حصل على كتاب مثل «مملكة الكونغو» لـ (بجافيتا) . لحسن الحظ لم يضايقه السؤال وأجاب بحرية :

ـ «آه .. الكتاب الإفريقى ؟ كابتن (إبنزر هولت) بادلنى بيه سنة 68 بعدها مات فى الحرب .. »

شىء ما فى اسم (إبنزر هولت) جعلنى أنظر بحدة .. لقد قابلت الاسم فى أثناء دراساتى عن الأجناس .. وخطر لى أن أسأل مضيفى أن يعاوننى فيما أقوم به .. وانتظرت حتى ينهى الكلام ..

« (إبنزر هولت) كان تاجرًا من (سالم) .. وكان بيلم حاجات غريبة من كل الموانى .. اشترى الكتاب ده من (لندن) » ـ وبحث فى جيوبه عن عويناته ، ثم أخرج عوينات عتيقة غريبة الشكل ، وراح يقلب الكتاب على المنضدة فى حب ـ « (إبنزر) كان يمكنه قراءة القليل من اللاتينية أما أنا فلا .. هل يمكنك ؟ »

قرأت له فقرة من البداية قدر ما استطعت .. ولو أخطأت فلم يكن هو على هذا القدر من الثقافة ، وكان مسرورًا لفكرة أن يسمع أحدًا يحكى له بالإنجليزية .. كان ساذجًا كطفل ، وسرنى أن ذعرى الأول فارقنى ..

ـ « غريبة إن الصور بتخليك تفكر فى حاجات عمرك ما فكرت فيها .. لكن أنا حاوريك أجمل حتة فى الكتاب .. »

والتمعت عيناه وازداد صوته غلظة .. ومد يده يفتح الكتاب ، فإذا به كالعادة ينفتح على الصورة رقم 12 التى تظهر محل الجزار لدى (الأنزيك) .. عاد شعورى بعدم الارتياح غير أننى لم أظهره .. لكن مضيفى بدا متمتعًا بالصورة بالقدر الذى كرهتها به ..

ـ «كنت دايمًا أقرا عن دبح الناس ، لكن عمرى ما شفت المنظر .. أهوه المنظر قدامك ! مش بالذمة حاجة تقشعر ؟ بيتهيألى دى خطيئة .. لكن احنا كلنا خطاة على كل حال .. شوف ده ! الجزار قطع راسه ودراعه ، وهم الاتنين على القرمة جنب بعض .. حاجة تخلى جلدك يقشعر » .

كان يتحدث فى شغف وانبهار ، جعلا حالتى غير قابلة للوصف .. وأدركت أننى أكره هذا الرجل من كل قلبى .. إنه مجنون أو شاذ الطباع بالتأكيد .. والآن كان يهمس بصوت حاد كأنه الصراخ فارتجفت :

- «زى ما قلت لك .. الصور بتخليك تفكر فى حاجات غريبة .. مرة جريت حاجة مسلية .. ما تخافش يا بنى .. كل اللى أنا عملته هو إن أنا كنت بابص للصورة قبل ما دبح الخرفان .. »

كان صوته ينخفض إلى حد أنه صار عسير السماع ، ومن بعيد كنت أسمع صوت هدير الرعد منذرًا بعاصفة قادمة .. لكن الهامس لم يلحظ شيئًا من هذا ..

- «قتل الخرفان كان ممتع .. لكن ما كانش بيرضينى قوى .. الصورة دى خلتنى جعان لحاجة ماقدرش أربيها أو أشتريها .. أقعد ! أنا ماعملتش حاجة .. كل الموضوع إنى كنت بافكر فى الموضوع .. بيقولوا إن اللحمة بتجدد الدم .. فأنا قلت لنفسى ممكن البنى آدم يعيش كتير لو عمل حاجة كده .. ونويت أجرب .... »

لكن الشيخ الهامس لم يستكمل كلامه .. والسبب هو فكرة بسيطة جدًا ، إلا أنها مصحوبة بحادث غير معتاد ..

كان الكتاب بيننا مفتوحًا على الصورة المريعة ، فلم يكد الرجل يقول : «ونويت أجرب .... » ، حتى دوى صوت طرطشة ، وظهر شىء على الورق المصفر .. فكرت فى أن الماء يسيل من ثقب فى السقف ، لكن المطر ليس أحمر .. كانت هناك لطخة حمراء تنتشر على الصورة فوق محل الجزار ، تعطى مسحة مفزعة للمشهد .. رآها الرجل فكف عن الهمس ونظر سريعًا إلى السقف .. حذوت حذوه ونظرت للسقف لأرى بقعة حمراء تنتشر ببطء هناك .. لم أصرخ أو أتحرك .. فقط أغلقت عينى ..

وبعد لحظة جاء هدير الرعد الجبار ، وأطاح بذلك البيت المشئوم الحافل بأسرار لا يمكن النطق بها ، وجلب النسيان وهو الشىء الوحيد الذى أبقى على عقلى .

1919

* * *

حالة
تشارلز دكستر وارد (*)

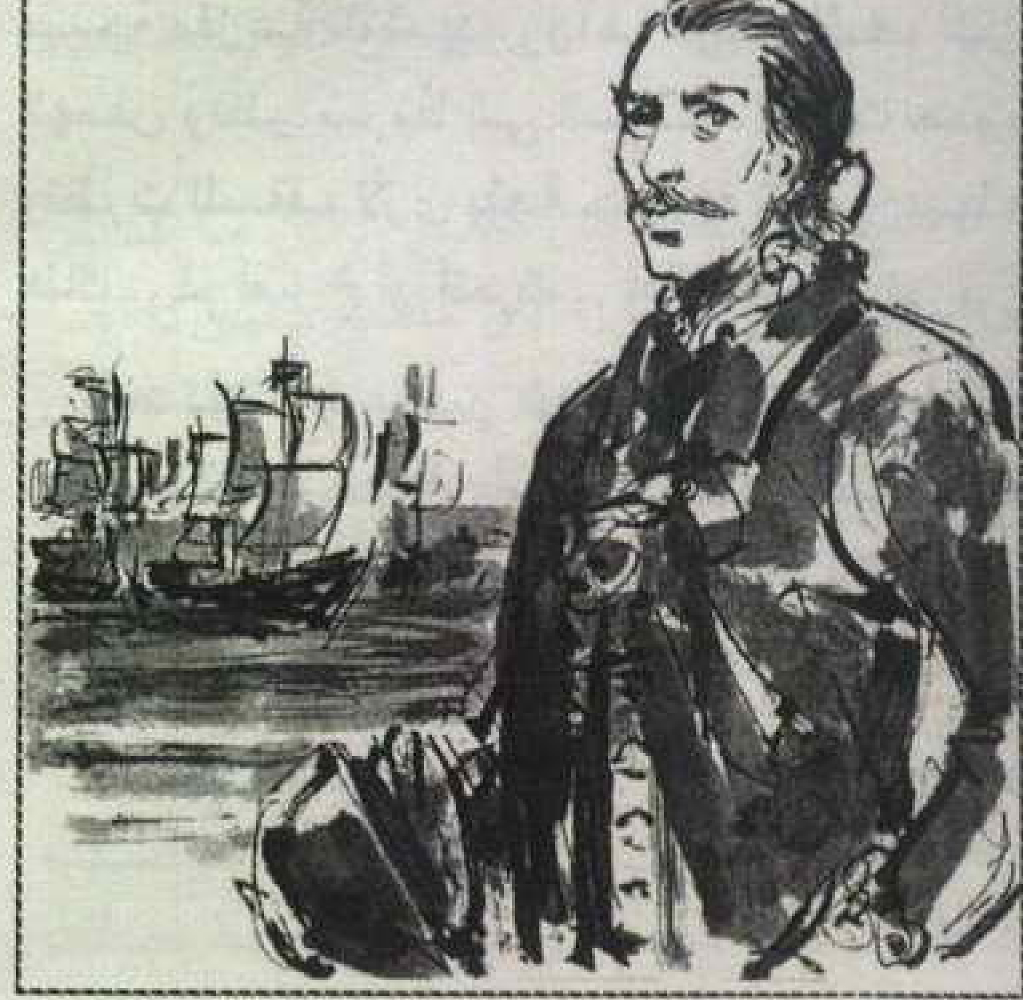

(*) ترجمة ملينة بالتصرف ؛ لأن القصة الأصلية مفرطة الطول ، وبالغة الشناعة !

الفصل الأول

مقدمة ونتيجة

1

من مصحة عقلية خاصة قرب (بروفيدنس) فى (رود آيلاند) ، اختفى مؤخرًا شخص متفرد يحمل اسم (تشارلز دكستر وارد) ، تم وضعه تحت الحجز برغم رفض أبيه المحتضر ، الذى شهد تبدل ابنه من مجرد الشذوذ إلى جنون كامل ، قد يهدد بالقتل .. ويعترف الأطباء بحيرتهم إزاء هذه الحالة .. فمن البداية بدا المريض أكبر سنًا مما توحى به سنو عمره الستة والعشرون . إن الخلل العقلى ـ هذا صحيح ـ يجعل المرء يشيخ سريعًا .. لكن وجه هذا الفتى كان يحمل طابعًا لا تراه إلا على وجوه الشيوخ .. ثانيًا كان مرضه العضوى يظهر غرابة لا يوازيها شىء طبيًا .. لقد فقد صوته ، ولم يعد نبضه يتناسب مع تنفسه ، وهضمه صار بطيئًا وأقل من المعدل .. لقد اختفت

وحمة تشبه الزيتونة كانت على ردفه الأيمن ، بينما ظهرت شامة سوداء على صدره ، لم يكن لها أثر من قبل ..

نفسيًا كذلك ؛ كان (تشارلز دكستر) متفردًا .. لم يكن جنونه من أى نوع معروف ، برغم أنه يملك طاقة عقلية كان بوسعها أن تصنع منه عبقريًا .. والحقيقة أن (وارد) كان أكاديميًا ودارسًا للآثار ، وقد ازدادت حدة ذكائه بعدما أصيب عقله .. كما اتضح من الفحوص التى قام بها الأطباء المنتدبون ..

كان من الصعب نظرًا لذكاء الشاب ، أن يتم الحصول على موافقة المحكمة على دخوله المستشفى .. فلم يتم هذا إلا بناء على شهادة البعض ، والثغرات التى اتضحت فى معلوماته العامة - وهى شىء غير الذكاء - وتم وضعه فى الحجز .. وحتى وقت فراره كان قارئًا نهمًا ، ومحدثًا ممتعًا بقدر ما يسمح به صوته الواهن .. وقد تنبأ ملاحظوه بأنه لن يمر وقت طويل قبل أن يظفر بإطلاق سراحه من الحجز ..

لم يكن أحد قلقًا بصدد حرية الفتى ، إلا د. (ويليت) طبيب الأسرة ، الذى جاء بالفتى إلى العالم ، وراقب نموه العقلى والبدنى .. فقد كان يعرف أشياء مروعة لم يجسر على إعلانها لزملائه فى المهنة ..

والحقيقة أن د. (ويليت) لغز محير بدوره .. فهو آخر من تحدث إلى الفتى ، وغادره وعلى وجهه مزيج من الرعب والرضا ، وقد تذكر الكثيرون هذا بعدما فر الفتى ، بعد ثلاث ساعات من اللقاء ..

الهرب نفسه غريب بحق .. ولم يكن لدى د. (ويليت) ما يعلنه بعده .. لكنه بدا أكثر راحة ورضا .. ويبدو أن لديه ما يقول لو لم يسخر منه الآخرون .. إنه قد وجد الفتى فى غرفته ، لكن من جاءوا بعد ذلك قرعوا الباب عبثًا .. ولمّا فتحوه لم يجدوا إلا نسيم إبريل يطير سحابة من الغبار الرمادى المزرق .. صحيح أن الكلاب نبحت قليلاً ليلتها ، لكن ذلك حدث بينما الطبيب مازال هناك ، ولم تنبح بعد ذلك أبدًا ..

لم يكن لدى (ويليت) ما يقول ، وكذلك الأب (وارد) العجوز .. وحتى هذه اللحظة لم يجد أحد أثرًا للمجنون الهارب ..

كان (وارد) مولعًا بالآثار من صغره ، وبالتأكد اكتسب هذا الحب من رفات الماضى الموجودة فى كل ركن من دار أبويه ، فى شارع (بروسبكت) عند ذروة التل .. فلما نما نمت معه هذه الهواية الغريبة واحتلت كل جوانب اهتمامه .. هذه النقطة مهمة ؛ لأن الفتى – حين استجوبه الأطباء – كان جاهلاً تمامًا بالأحداث المعاصرة ، لكنه بدا كأنما يعيش فى الماضى ، وكأنما انتقل إلى أزمنة قديمة عن طريق تنويم مغناطيسى مجهول .. من الغريب هنا أن الفتى بدا كأنما فقد كل اهتمامه بعلم الآثار ، ويبدو أن هذا بفعل الألفة والتعود .. فلم يكن يهتم إلا بتعلم كل شىء عن عالمنا المعاصر ..

حاول بالطبع أن يخفى هذا الحذف الذى جرى فى ذاكرته ، لكن كل من رآه عرف أن برنامجه الاطلاعى كانت تمليه عليه حاجته إلى معرفة كل شىء عن

القرن العشرين ، والخلفيات الثقافية والعلمية له .. وهو شىء غريب لأنه ولد عام 1902 وتعلم فى مدارسنا المعاصرة ..

ولقد تساءل الأطباء عن كيف ينوى الهارب أن يتصرف فى عالمنا المعقد هذا ، ثم أدركوا أنه لابد مختبئ فى مكان آمن إلى أن يصل قدرًا كافيًا من العلم يسمح له بالتنقل ..

كانت بداية جنون (وارد) موضع جدل بين الأطباء .. د. (لايمان) – وهو حجة من (بوستون) – يقول إنه حدث بين عامى 1919 و1920 فى أثناء عام الفتى الأخير فى مدرسة (موزس براون) ، حين كف عن دراسة الماضى ليبدأ دراسة المجهول .. ورفض أن يتخرج كى يتفرغ لدراسة ما هو أهم .. كان يقضى الوقت يبحث عن قبر معين تم حفره عام 1771 ، ويخص جدًا له اسمه (جوزيف كوروين) .. لاينكر أحد أن شتاءى 1919 و1920 شهدا تغيرًا عظيمًا فى (وارد) ..

من جهته يخالف د. (ويليت) هذا .. ويعتمد على معرفته الوثيقة بالمريض ، وأشياء معينة اكتشفها قرب النهاية .. ويرى أن العامين 1919 و1920 يبدوان كبداية انحلال استمر حتى صورته الرهيبة عام 1928 .. لكن الفتى لم يكن قط متماسكًا نفسيًا ، وكانت استجاباته غريبة لما يحدث من حوله .. إن التغير الحقيقى – كما يرى – حدث حين تم استخراج أوراق (كوروين) وصورته .. بعد رحلة قام بها الفتى لأماكن غريبة أجنبية ..

فى هذا الوقت – يؤكد (ويليت) بحدة – بدأت التغيرات الكابوسية لدى (وارد) .. لقد رأى عاملان أوراق (كوروين) حين وجدها الفتى .. بل إن الفتى عرض هذه الأوراق على د. (ويليت) ومعها صفحة من مذكرات (كوروين) .. ثم هناك موضوع خطابى (أورن) و(هتشنسون) ومشكلة خط (كوروين) .. والأوراق التى وجدوها بحروف من القرون الوسطى ، فى جيب (ويليت) بعدما استعاد رشده ..

دعك من الأشياء التى استنتجها الطبيب من معادلتين وجدهما ، وهى أشياء تبرهن على أصالة هذه الأوراق ، وأنها ولدت من المعرفة البشرية ..

* * *

2

يجب على المرء أن ينظر إلى ماضى (تشارلز وارد) كأنه جزء من الآثار التى يهوى اقتناءها ودراستها .. فى خريف 1918 حين ساد الحماس للتدريب العسكرى ، بدأ دراسته فى مدرسة (موزس براون) ، فقد فتنه المبنى العتيق الذى شيد عام 1819 ، وكانت نشاطاته الاجتماعية محدودة .. كان يقضى الوقت فى المكتبة العامة ، ومجمع التاريخ ، ومكتبة (جون هاى) فى الجامعة .. ويمكن للمرأ أن يراه كما كان فى تلك الأيام ؛ طويلاً أشقر ذا عينين متأملتين وثياب غير مهندمة نوعًا .. يعطى انطباعًا بالارتباك غير الضار أكثر مما يعطى انطباعًا بالجاذبية ..

كان مجنونًا بالتاريخ منذ طفولته ، وكانت البلدة تحوى الكثير من الآثار .. كان الفتى يقضى الساعات يجوب المدينة ، ويستكشف كل شىء ، ولابد أن هذه الجولات كانت هى الشىء الذى جعل عقله ينسحب من الحاضر ليعيش فى دنيا الواقع ..

كان د. (ويليت) واثقًا من أن اهتمام (وارد) بالآثار ـ حتى الشتاء الكئيب ـ كان خاليًا من أى أثر للمرض .. لم تكن المقابر تمثل له أكثر من عراقتها وأهميتها التاريخية .. ولم يكن فى طباعه وحشية ولا قسوة .. ثم فجأة حدثت مضاعفات غريبة لنصر أحرزه فى دراسة الأنساب منذ عام ، حين اكتشف بين أسلافه رجلاً معمرًا اسمه (جوزيف كوروين) ، الذى جاء من (سالم) فى مارس 1692 ، والذى كانت قصص كثيرة تحكى همسًا عنه ..

كان جد جد (وارد) قد تزوج فى عام 1759 امرأة تدعى (آن تلينجاست) حفيدة الكابتن (جيمس تلينجاست) .. وفى عام 1918 بينما هو ـ (وارد) ـ يفحص سجلات المدينة ، وجد أنه فى عام 1772 قامت السيدة (إليزا كوروين) أرملة (جوزيف كوروين) ـ هى وابنتها ـ باسترجاع اسمها قبل الزواج وهو (تلينجاست) .. «لأن اسم زوجها صار وصمة لما عرف عنه بعد وفاته .. وهى وصمة لا يمكن لزوجة مخلصة أن تصدقها على كل حال ،

ما لم يتم إثباتها بما يفوق أى شك .. » الملحوظة الأخيرة كانت بين صفحتين تم لصقهما بعناية بالغة ، ولم يجدها (وارد) إلا بعد مراجعة مرهقة لأرقام الصفحات ..

لقد عرف أنه وجد أخيرًا جدًا كبيرًا كبيرًا .. وكان يعرف القليل جدًّا عن الرجل ؛ لأن كل شىء عنه كان مخفيًا ، كأنما هناك مؤامرة لجعل الرجل يعيش فى النسيان ..

قبل هذا الكشف كان (وارد) قانعًا بأن يتجاهل خيالاته بصدد (جوزيف كوروين) العجوز .. لكنه ، وقد أدرك قرابته للرجل ، راح يصطاد المعلومات بشكل منظم قدر ما استطاع .. وفى بحثه المتحمس نجح أكثر بكثير من كل توقعاته .. لأن الخطابات القديمة والمذكرات والمجلدات المغطاة بنسيج العناكب ، والتى لم يجد السابقون أهمية لتدميرها ؛ كانت ذات نفع بالغ له .. وجاء ضوء مهم من مكان بعيد مثل (نيويورك) .. حيث كانت بعض مراسلات (رودآيلاند) مخزونة فى أحد المتاحف ..

الشىء ذو الأهمية البالغة ، والذى ـ فى رأى د. (ويليت) ـ يشكل حجر الزاوية للمشكلة ، هو الأشياء التى وجدوها تحت ألواح بيت مهدم عام 1919 فى (أولنى كورت) .. كانت هذه الأشياء دون شك هى ما فتح تلك الآفاق السوداء ، والتى كانت نهايتها أعمق من أية حفرة ..

* * *

الفصل الثانى

الأسلاف والرعب

1

كان (جوزيف كوروين) ـ كما جسدته الأساطير التى سمعها وكشف عنها (وارد) ـ شخصًا مفزعًا غامضًا .. لقد فر من (سالم) إلى (بروفيدنس) المأوى الدائم لغرباء الأطوار . لأنه كان يخشى اتهامه بالسحر(*) . كان رجلاً شاحبًا فى الثلاثين من عمره .. سرعان ما اشترى بيتًا عند ناصية شارع (أولنى) ، فوق هضبة (ستامبر) غربى الشارع الرئيسى بالمدينة . وفى عام 1761 استبدل به بيتًا أكبر فى المكان ذاته .. وراح يمارس التجارة ، وكانت له علاقة ما بالبحر وسفينة ..

(*) سالم أو سيلم هى المدينة الأمريكية التى اشتهرت بمحاكمات الساحرات وحرقهن ، وكان يكفى أن يكون للمرء نشاط غامض من أى نوع كى يعدم ..

أول الأشياء الغريبة بصدد (كوروين) كانت أنه لم يشخ قط .. لقد ظل دومًا يحتفظ بمنظر رجل فى الثلاثين من العمر .. وبعد عقود بدأ الناس يلاحظون هذا ، لكنه كان يقول دائمًا إنه جاء من أصل قوى ، وإنه يعيش حياة بسيطة لم ترهق جسده . لم يكن ثرثارًا وكان أميل إلى العزلة ، لكن الناس قالوا إن سبب شبابه الدائم له علاقة ما بالكيماويات التى يقوم بغليها طيلة الوقت ، والأضواء التى تظل ساهرة خلف نوافذه طيلة الليل .. وحين جاء (جابيز) العجوز ليفتح صيدلية فى (جريت بريدج) ، فإن الناس راحوا يتكلمون عن العقاقير الغريبة التى اشتراها (كوروين) منه ، وتلك التى اشتراها من (لندن) أو من (الإنديز) ..

ثمة أسباب أخرى جعلت الناس يتساءلون .. ثم يشكون .. ثم يخافون الرجل كأنه طاعون .. مثلاً ميله الشديد إلى المقابر ، التى كان يُرى فيها كثيرًا ، وإن لم ير أحد منه سلوكًا يوحى بأنه غول ..

كانت لديه مزرعة يعيش فيها مع خادمين هنديين من هنود (الناراجانست) .. الزوج أصم ومليء بالندوب ، والزوجة منفرة السحنة .. وكان الجيران يملكون أغرب القصص عن هذه المزرعة .. عن صرخات وأصوات عواء في الليل .. وعن ضخامة القطيع في المزرعة أكثر مما يحتاج إليه رجل عجوز وحيد وخادماه .. وعن كميات الطعام التي تدخل المزرعة لأربعة أفراد فقط ..

بالنسبة للطبقة الراقية أيضًا كان من الواضح أن (كوروين) رجل كريم المنشأ ، عرف العالم ، ومن الواضح رقي إنجليزيته ، وإلمامه ببعض الثقافة الشرقية ، لكنه - لسبب لم يفهموه - كان لا يهوى المجتمعات ..

في عام 1746 جاء مستر (جون ميريت) السيد الإنجليزي العجوز ، وهو رجل طيب المنشأ كريم المحتد ، إلى (نيوبورت) وعاش حياة مريحة محترمة ، فلما سمع (كوروين) أن لديه أفضل مكتبة في (بروفيدنس) ، قام بزيارته واستقبله

الأول بترحاب شديد . فلما رأى (كوروين) أن مكتبة مضيفه ذاخرة بروائع الفلسفة والأدب ، قام بدعوته إلى مزرعته ليرى مكتبته ، وذهبا إلى هناك في عربة مستر (ميريت) .. اعترف مستر (ميريت) فيما بعد بأنه لم ير ما يريب في المزرعة ، لكن عناوين كتب السحر والتنجيم والفلك التي رآها ، كانت كفيلة بأن تثير لديه نفورًا شديدًا .. وكانت هناك كتب يهودية سحرية كثيرة ، ومنها كتب (الكابالا) - السحر الأسود اليهودي - كما أنه وجد كتاب (نيكرونوميكون) الممنوع تداوله ، والذي كتبه (عبد الله الحظرد) ، والذي سمع عنه من أعوام حين انكشف أمر طقوس غريبة ، تمارس في قرية صيد اسمها (كينجزبورت) على ساحل (ماساتشوستس) ..

لكن أسوأ الأشياء عن (جوزيف كوروين) كانت تُقال عند المرفأ . إن البحارة قوم يؤمنون بالخرافات ، وقد كان موظفو (كوروين) وقباطنة سفنه أنفسهم يمقتونه ويهابونه .. أما بحارته فكانوا هجناء من

جـزر المـارتينيك وهافانـا وسـانت أوسـتاتيوس ..
وكانت الطريقة التى يتبدلون بها أو يختفى بعضهم ،
لمن الأشياء التى أثارت الدهشة والحيرة ..

وفى عام 1769 صار (جوزيف كوروين) منبـوذًا فعليًا ، متهمًا بكل ألوان الأحـلاف الشيطانية ، التى كان أكثر ما يخيف فيها هو أن أحدًا لا يعرف كنههـا بالضبط ، أو يستطيع البرهنة عليهـا .. وكـانت آخر قشة هى موضوع الجنود المفقودين عام 1758 .. لقد عسكر فيلقان ملكيان من الجنود فى (بروفيدنـس) ، فى طريقهم إلـى (نيوفرانـس) .. سـرت إشـاعات كثيرة أن (كوروين) اعتاد الكـلام مع الغربـاء ذوى المعاطف الحمراء ، وبـدأ كثير منهم يختفى .. ممـا ذكّر الناس ببحارة (كوروين) الذين يختفـون بشكل لايمكن فهمه ..

فى الوقت ذاته كانت حالته المادية تزدهر .. كـان يحتكر تجارة الفلفل والقرفـة والملـح الإنجليزى فـى البلدة . وكان يملك أية شركة تتعامل مع النحـاس أو الأصواف أو أية بضائع إنجليزية .. وصار من أهم مصدرى الزمن ..

وبرغم كونـه منبوذًا ، فإنه شـارك فى كثـير من الأعمال العامـة والخيريـة ، كأنمـا يطرد الظل الذى ألقى به فى العزلة ، ولن يلبث أن يدمر ثروته ما لـم يجد حلاً سريعًا .

* * *

2

إن رؤية رجل كهذا يبدو كأنه فى منتصف العمر ، لكنه فى الحقيقة لا يقل عن قرن عمرًا ، وهو يحاول الخروج من سحابة الشك والخوف التى تحيط به .. كان مشهدًا دراميًا يدعو إلى الشفقة والنفور معًا . لقد بدأ يقلل من كميات الطعام التى تدخل مزرعته ، ومن زياراته للمقابر ، وصارت الأصوات المنفرة الصادرة من مزرعته أقل .. لكن تأثير هذا كان بسيطًا ؛ لأن حقيقة شبابه الدائم كانت كفيلة بجعل الناس ينفرون منه أبدًا ..

وكان من الواضح أن تجاربه ـ أيًا كانت ـ تحتاج إلى ثروة هائلة لتحقيقها ، وكانت أعماله هنا تدر له هذه الثروة ، بالتالى لم يكن على استعداد للبدء من جديد فى مكان جديد .. ووجد أن عليه أن يحسن علاقاته مع القوم فى (بروفيدنس) ؛ حتى لا يصمتوا حين يرونه ، أو يختلقوا الأعذار للانصراف ..

هنا وجد الفكرة المناسبة .. كان يعيش حياة رهبنة كاملة ، وخطر له الآن أن يتزوج .. سيدة

ذات وضع اجتماعى يكفل له أن يجد مكانة محترمة فى المجتمع .. وكان بالطبع يعرف أن الناس يلقونه بذعر وتهيب ، لذا راح يبحث عن زوجة يمكنه أن يمارس بعض الضغط على أبويها ..

هنا ضيق البحث إلى بيت أحد قباطنته الطيبين .. إنها سيدة كريمة النسب اسمها (دوتى تلنجاست) لها ابنة تدعى (إليزا) .. وقد وافق أبوها بعد مقابلة مروعة أن يمنح ابنته للرجل ..

فى هذا الوقت كان عمر (إليزا تلنجاست) ثمانية عشر عامًا ، وكانت أمها متوفاة .. لابد أنها تجادلت مع أبيها بصدد الزواج من (كوروين) وكانت محاورات مؤلمة حتمًا . لكن خطبتها إلى الشاب (إزرا ويدن) فسخت ، وعقد زفافها فى 7 مارس 1763 فى كنيسة المعمدانية .. وفى حضرة أكثر التجمعات تميزًا فى المدينة ..

كان البيت الجديد فى (أولنى كورت) ، ولم تشب الحياة فيه أية أمور غريبة ، لكن (كوروين) كان كثير التغيب فى مزرعته فى (بوتاكست) . ولم يكن

هناك من ظل يحتفظ بكراهيته لـ (كوروين) الآن إلا ضابط البحرية الشاب ، الذى فسخت خطبته إلى (إليزا تلنجاست) ، فقد أقسم على الانتقام صراحة ..

فى السابع من مارس عام 1765 ، ولدت طفلة (كوروين) الوحيدة (آن) .. وتم تعميدها فى كنيسة الملك التى انتسب إليها الزوجان الآن .. وقد لاحظ (دكستر وارد) الشاب أن سجلات الزواج والطفلة قد تم محوها من أكثر ملفات البلدة .. لكنه وجدها بعد بحث مضن ساهم بالتأكيد فى حالة الجنون التى وصل إليها فى النهاية ..

فى الوقت ذاته كان الفتى (إزرا ويدن) لا يكل من تكرار أن (كوروين) بالتأكيد يمارس أعمالاً شيطانية ما ، وكان يراقبه بعناية من بعيد .. إلى درجة أن الكلاب عضته ذات مرة وهو يتلصص على المزرعة ..

* * *

3

فى عام 1766 بدأت مخايل غريبة تظهر على (كوروين) .. لقد كف عن حالة الترقب التى يمر بها ، وبدا عليه نوع من الرضا والشعور بالنصر .. مما جعل القوم يتهامسون فى البلدة .. والغريب هنا أن الناس لاحظوا أنه يقول أشياء ، ما كان بوسع أحد أن يعرفها سوى أجدادهم ..

ازدادت نشاطاته السرية ، وبدأ يلقى بالمزيد من مسئوليات سفنه على عاتق بحارته ، الذين كانت تربطه بهم أواصر قوية من الخوف والرهبة .. بدأ يهجر تجارة العبيد زاعمًا أن مكاسبها لم تعد مجزية . وكف عن رحلاته البحرية المريبة ليلاً ، وهى رحلات كان القوم يبررونها بتوتر ظروف التجارة والضرائب فى هذا الوقت .. كان التهريب يتم على قدم وساق . لكن (إزرا ويدن) الذى لم تغفل عينيه عن المراقبة ، كان يعرف أن ما يتحاشاه (كوروين) ليس هو سفن صاحب الجلالة ملك

بريطانيا .. وإذ وجد أن مهامه البحرية تعوقه عن المراقبة اللصيقة ، فقد استأجر صديقًا له يدعى (إليعازر) كى يتولى المراقبة فى غيابه ..

لايعرف أحد ما رآه الرجلان ، لكنه لم يكن محببًا ، وكل ما يمكن معرفته هو ما دونه (إليعازر) فى مفكرة لديه .. ومنه نفهم أن المزرعة كانت مجرد غطاء لعمل مخيف لايوصف .. ومن المفهوم أن الرجلين استنتجا أن هناك عددًا هائلاً من الممرات والأنفاق تحت المزرعة ، بها عدد لابأس به من القوم ، بالإضافة إلى الهندى العجوز وامرأته .. بدا لهما أن هناك عددًا ما من الأسرى - من جنسيات مختلفة - والحراس و(كوروين) الذى كان يفهم ويتكلم كل هذه اللغات ..

قال (إليعازر) فى مفكرته إنه كان يسمع أطرافًا من محادثات بلغات لها طابع الاستجواب ، ولأنه كان بحارًا فقد كان يفهم بعض تلك اللغات .. وإنه سمع على سبيل المثال شخصًا غاضبًا يتم استجوابه بالفرنسية ، عن مذبحة الأمير الأسود فى (ليموج)

عام 1370 ، ويبدو أن المستنطق لم يظفر بإجابة ، من ثم لجأ إلى أساليب عنيفة ؛ لأن صرخة مروعة دوت من هناك ..

فيما بعد يبدو أن الرجلين وجدا أشياء غريبة لاتسر الناظرين فى مياه النهر الذى يجرى خلف المزرعة .. إن النهر يمر على مقابر هنود حمر قديمة ، ومن الممكن أن تكون هذه المخلفات منهما ، لكنهما لسبب ما لم يشعرا أن هذه هى الحقيقة ..

كان العام 1770 - بينما الرجلان مستمران فى التجسس عاجزان عن اتخاذ قرار - حين وقعت حادثة (فورتاليزا) . كانت دوريات سفن الجمارك تفتش بعناية أية سفن غريبة ، بعد حادث احتراق السفينة (ليبرتى) فى (نيوبورت)(*) .. وقد قامت سفينة صاحب الجلالة (سيجنت) بتفتيش سفينة الشحن الأسبانية (فورتاليزا) التى يقودها القبطان

(*) تدور القصة فى فترة صاخبة من التاريخ ، حين كانت المستعمرات البريطانية تحاول الانفصال عن بريطانيا ، لتكون ما نعرفه اليوم باسم الولايات المتحدة ، وكانت بريطانيا تفرض ضرائب باهظة على تجارة المستعمرات ، وسفن صاحب الجلالة تفتش كل السفن الداخلة والخارجة بحثًا عن بضائع مهربة ..

(مانويل آرودا) ، وكانت قادمة من مصر متجهة إلى (بروفيدنس) .. وبتفتيشها تكشفت الحقيقة الغريبة أن كل حمولتها كانت مومياوات فرعونية .. لم يدر البريطانيون ما يعملون ؛ فالسفينة لاتحمل بضائع مهربة ، لكن دخولها كان غير قانونى ، ومن ثم أخلوا سبيلها مع منعها من الرسو فى (رود آيلاند) ..

ولم يحتج سكان البلدة حين عرفوا بالقصة ، إلى أى جهد كى يربطوا بين محتوى هذه السفينة وبين (كوروين) ، الذى اشتهر بولعه بالمقابر وتجاربه الكيميائية الغامضة ..

فى خريف 1770 قرر (ويدن) أن الوقت قد حان ليعرف الآخرون بعض ما عرفه ، فلديه حقائق عديدة يمكن ربطها ، ولديه شاهد عيان ينفى عنه التهمة المحتملة ، أن الغيرة هى ما جعلته يزعم ذلك ..

وفى الطابق العلوى من الحانة ، راح الشابان يحكيان ما شهداه للكابتن (ماتيسون) ، وهو صديق

حميم لـ (ويدن) ، ثم إنه رجل ذو حيثية ونفوذ فى البلدة ، وكان ما حكياه غريبًا صادمًا للرجل ، لكنه كان يتوقع سرًّا غامضًا محيطًا بـ (كوروين) ، وقد أصغى لهما .. ثم قال إنه سيطلع بعضًا من علية القوم راجحى الرأى على الموضوع ، لكنه حذرهما من أن يعرف الدهماء بالأمر حتى لاتكون فتنة ، ويعم الاضطراب ، وتتكرر مأساة حرق الساحرات فى (سالم) ..

ولم يتوقع الكابتن (ماتيسون) النتيجة العظيمة لإطلاعه الرجال على ما عرف .. صحيح أن اثنين سخرا من الأمر واعتبراه خيال شابين ، إلا أن الباقين جميعًا كانوا يؤمنون أن (كوروين) تهديد دائم للبلدة ، وما يقوم به شر لابد من عمل شىء بصدده ..

وتملك القوم شىء كالخوف .. كانوا يعرفون فى قرارة أنفسهم ، أن (كوروين) شخص لايجدى معه إبلاغ السلطات ولاجعله يترك المدينة .. لابد من شىء أقوى وأكثر فعالية من هذا .. وحتى لو وافق المخلوق الشرير على الرحيل ، فليس هذا سوى نقل القاذورات من مكان ووضعها فى مكان آخر ..

كان الزمن زمن اللاقانون .. وقد تحدى هؤلاء القوم ملك بريطانيا ذاته ، فلن يعجزوا عن قهر (كوروين) .. فلو اتضح أن الرجل مجنون يكلم نفسه فى مزرعته بصوت عال ، فسوف يوضع فى مصحة .. أما لو اتضح أن الأمر أخطر من هذا فلابد من قتله وقتل الرجال الذين معه ..

فبينما هذه المناقشات الخطرة تدور ، حدث حادث مروع بلاتفسير ، لم يعد من سيرة للقوم غيره بعد حدوثه ..

قام القوم بعمل ترتيبات لاعتراض البريد القادم إلى (كوروين) ، وقد وجدوا رسالة موجهة له من (سالم) ، ممن يدعى (جدياه أورن) ، وقد جعلتهم يغرقون فى تفكير عميق ..

كان نص الرسالة كما قرأه (تشارلز دكستر) فيما بعد هو :

«يسرنى أنك مازلت تحصل على المادة القديمة بطريقتك .. ولا أحسب مستر (هتشنسون) فى (سالم) قد حقق نتائج أفضل .. إن ما أرسلته لى

لم يعمل ، ربما لأن الكلمات التى كتبتها أنت أو لفظتها أنا لم تكن سليمة ، أفهم جيدًا أن الأجزاء يجب أن تكون سليمة كلها ، لكن هذا عسير .. إننى لا أملك براعتك فى الكيمياء ، لكنى أذكرك بألا تجلب ما لاتقدر على إعادته .. وأذكرك ألا تخاطبنى باسم (سيمون) بل باسم (جيدياه) .. إن فى مجتمع كهذا قد لايعيش المرء كثيرًا .. وأنت تعرف خطتى للعودة باعتبارى ابنى .. إننى راغب فى معرفة ما تعلمه الزنجى من (سيلفانوس كوسيديوس) تحت أسوار روما .. »

كان هناك خطاب مريب آخر كتب بلغة أجنبية مجهولة الحروف ، وقد وجد (وارد) تقليدًا لها فى الوثائق ، وعرف من جامعة (براون) أنها الكتابة الأمهرية أو الأثيوبية ..

لم تصل هذه الخطابات قط إلى (كوروين) ، لكن اختفاء (جيدياه أورن) من (سالم) بعدها ، يدلك على أن القوم فى (بروفيدنس) اتخذوا خطوات جادة ..

هكذا راح البحارة والعمال الأقوياء يجتمعون فى الحانة ، ويرسمون الخطط للهجوم على المزرعة ، ومحو أى أثر لـ (كوروين) من البلدة .. ويبدو أن (كوروين) شعر بشىء من هذا ؛ لأنه صار يتواجد فى المدينة أكثر من اللازم ، وعلى وجهه نظرة قلقة ..

* * *

4

تقول الوثائق إن جمعًا من مائة رجل وقادتهم ، اجتمعوا فى العاشرة من مساء يوم 12 إبريل 1770 .. كانوا ينتظرون قدوم (إزرا ويدن) الذى كان يقفو أثر (كوروين) ، ويخبرهم برحيل عربته نحو المزرعة .. وعندما سمعوا هدير العربة وهى تمضى على الجسر ، حملوا الحراب والبنادق العتيقة والغدارات ، واتجهوا نحو المزرعة ..

وصلوا إلى مزرعة (فيرن)المجاورة بعد ساعة وربع ، حيث عرفوا أن (كوروين) قد بلغ مزرعته ، وأن ضوءًا غامضًا التمع فى السماء مرة ، ثم ساد الظلام كل النوافذ بعدها .. انقسم الرجال إلى مجموعات ؛ مجموعة من عشرين رجلاً تحرس الشاطئ ، وتتأكد من عدم وصول إمدادات لـ (كوروين) .. مجموعة أخرى تدور حول المزرعة ، وتفجر الباب الخشبى الكبير بالبارود .. المجموعة الثالثة تقوم بالاقتحام وحصار المزرعة ..

وقضى الرجال الليل ينتظرون الإشارة ، وكان ذلك عند الفجر ، حين جاء رسول مغبر له عينان شرستان ورائحة غريبة كريهة ، وقال لمن معه أن يتفرقوا ، ولايتساءلوا ثانية عن أسرار من كان يدعى (جوزيف كوروين) .. شىء ما فى مشية الرجل جعلته غريبًا بالنسبة لهم .. وبرغم أنه كان بحارًا يعرفه الكثيرون ، فإن شيئًا ما قد تبدل فى روحه ، وقد تكرر هذا كثيرًا كلما لاقوا واحدًا آخر من رفقائهم الذين دنوا أكثر من منطقة الرعب ؛ لأنه كان دائمًا يكتسب أو يفقد شيئًا لايمكن تحديده فى شخصيته .. لقد أصيب الجمع بهلع لا اسم له ، أوشك على إغلاق شفاههم .. وخرجت إشاعات قليلة جدًا حول هذه الحملة ، إلا أن (تشارلزدكستر وارد) وجد فيما بعد بعض الوثائق فى مكتبة (نيولندن) ، كتبها آل (فيرن) الذين كان بوسعهم أن يروا المزرعة الملعونة بوضوح تام .. ويسمعوا نباح كلاب (كوروين) الغاضبة ..

لقد سمعوا الطلقة التى تعلن بدء الهجوم ، ثم رأوا نورًا هائلاً يخرج من المبنى الحجرى بالمزرعة ،

ثم صوت صراخ غريب مريع عبر عنه الكاتب بالحروف «وارررر ! وارررر !» ، إلا أنه قال إنه ما من حروف تعبر عنها جيدًا ، وإن أمه فقدت الوعى لدى سماعها .. بعد ساعة راحت الأرض تهتز بعنف حتى إن الشموع اهتزت على رف المدفأة .. ثم فاحت رائحة كبريت قوية .. من جديد عاد صوت طلقات الرصاص مع تلك الصرخة ، التى كانت أقرب إلى سعال أو غرغرة ، إلا أن طابعها المستمر جعلها تبدو للآذان كصرخة ..

ثم اندلع اللهب من المزرعة ، ودوت صرخات الرجال اليائسة الخائفة .. وبعدها تصاعد ضباب أحمر من المزرعة نحو السماء .. وأصيب الجميع بالذعر .. ذعر جعل ظهور ثلاث قطط تتقوس ، حيث جلست جوار المدفأة فى مزرعة (فيرن) .. ثم جاء صوت منغم مفعم بالشر قادمًا من لامكان .. يقول بالحرف كما دون الكاتب :

- « دسميس جيشيت بون دوسيف دوفما إنيتموس ! »

وحتى عام 1919 لم يربط إنسان بين هذه الحروف، وبين أية خبرة معروفة لعالم الأحياء، لكن (دكستر) تعرف ما وصفه (ميراندولا) بأنه الرعب الأقصى بين تعاويذ السحر الأسود .. وكأنما تجيب على هذه التعويذة اندلعت صرخات هلع مريعة من المزرعة .. مع رائحة كريهة لم يشمها أنف بشرى من قبل، وبعدها ساد الصمت والظلام ..

وقرب الفجر جاء رجلان - تفوح منهما رائحة كريهة لاتوصف - وقرعا باب أسرة (فيرن)، طلبا بعض الشراب ودفعا ثمنه .. وقال أحدهما إن موضوع (كوروين) انتهى، وإن أحداث الليلة لايجب ذكرها ثانية .. وهذا هو ما دفع (فيرن) إلى أن يطلب من قريبه أن يدمر الخطاب بعد قراءته، لكن القريب الذى لم يطع الأمر، قد أنقذ القصة من النسيان للأبد ..

وكان آخر ما عرفه (وارد) هو أن القوم وجدوا - بعد أسبوع من إعلان موت (كوروين) رسميًا - جثة متفحمة على العشب .. وكان الغريب أن هذه الجثة لاتمت بصلة شبه إلى البشر، ولا أى حيوان سمع الإنسان به أو قرأ عنه ..

لم يتكلم واحد من الذين شاركوا فى تلك الحملة الليلية، ومن المخيف أن تلاحظ الدقة التى حرصوا بها على تدمير كل وثيقة تشير إلى ما قاموا به .. كان تسعة بحارة قد هلكوا، لكن أسرهم اقتنعت بما قيل عن هلاكهم فى معركة مع شرطة الجمارك .. نفس التفسير قدمه الرجال المجروحون. إلا أن اللغز الذى حير القوم فى البلدة هى تلك الرائحة الكريهة القوية، التى كانت تفوح من الرجال بلا انقطاع ..

ومن لحظتها تخلصت البلدة من كل ما يشير إلى (كوروين) فى أوراقها، وأرغمت الزوجة والابنة على تغيير اسميهما .. كأنما لم يكتف القوم بجعل الرجل يكف عن الكينونة، بل جعلوه يكف عن الوجود فى الماضى ..

أما المزرعة فظلت مهجورة حتى عام 1880، ثم بدأت تتهدم، فلم يبق منها إلا أطلال متداعية .. ولم يجسر أحد على الذهاب هناك ليرى عالم (كوروين) من قريب ..

* * *

الفصل الثالث

بحث واستغاثة

1

كما رأينا ، عرف (تشارلز وارد) للمرة الأولى عام 1918 بنسبه إلى (جوزيف كوروين) ، حتى إنه اهتم فى الحال بكل ما يمت لهذا اللغز البائد .. وما كان بوسعه ـ وهو عالم السلالات وأنساب الأسر ـ ألا يكرس كل جهده لمعرفة كل شىء عن (كوروين) هذا ..

كان على (وارد) أن يرى بيت جده القديم فى (أورن كورت) ، والذى سره أنه على بعد مرمى حجر من بيته هو .. لم يكن قصرًا ، لكنه مجرد بيت قديم ذى طابقين ، شيد على طراز المستعمرات فى (بروفيدنس) ، له سقف منحدر ومدخنة ، ولم يكن به من الخارج إلا بضعة تغيرات .. وكانت أسرة من الزنوج من غسلة الملابس تعيش فى البيت الآن .. ولما كان أفراد الأسرة يعرفونه ، فقد سمحوا له

بتفقد البيت .. (آسا) العجوز وزوجته الباسلة (هانا) .. كان البيت قد تبدل كثيرًا من الداخل ، وفقد زخارفه الأنيقة ، كما أن الجدران قد غطيت بورق حائط رخيص .. حقًا لم يجد (دكستر وارد) ما كان يبحث عنه ، لكنه تحمس لفكرة أنه يقف بين الجدران التى ضمت يومًا جده المخيف (جوزيف كوروين) .. راح يبحث بعينيه فى جدران أية غرفة واسعة بما يكفى ، كى تكون مكتبة الشرير العجوز ..

بعد ساعة من البحث ، وجد غرفة أرضية واسعة .. ووجد حين خدش الطلاء فوق مدفأتها أن تحته طبقات من زيت ، مما يوحى بصورة زيتية هائلة الحجم كانت هناك .. راح يحاول بعنف غير مبال بخدش الجدار ، ثم وجد أن عليه طلب عون خبير استنقاذ اللوحات القديمة ..

بعد يومين عاد مع فنان واسع الخبرة هو مستر (والتر دوايت) ، وقد قام هذا الأخير باستعادة اللوحة باستعمال كيماويات خاصة .. وقد دفع مبلغًا مناسبًا للزوجين الزنجيين ، تعويضًا عن تخريب جدار

بيتهما بهذا الشكل .. ويومًا بعد يوم راحت معالم الصورة تتضح ، فى البداية من أسفلها إلى أعلى .. ثم بدأ الوجه يولد ببطء ، وكان لرجل هادئ الملامح يضع جمة أنيقة ، ويرتدى معطفًا أزرق ، جالسًا أمام نافذة تتراءى منها سفن فى عباب البحر .. وهنا فقط أدرك (وارد) والفنان فى ذعر ألعوبة الوراثة عبر القرون ..

كان انبهار (وارد) هائلاً حتى إنه أسرع بإحضار أبويه ليريا هذه المعجزة .. لم تكن الأم تحمل أى شبه لجدها ، لكن الأب انبهر بالشبه إلى حد أنه عرض مبلغًا ضخمًا من المال على صاحب الدار ، كى يقبل أن يسمح له بانتزاع الصورة سليمة من على الجدار وينقلها إلى داره .. ذلك برغم اعتراض الأم الشديد ..

وبصعوبة شديدة ، وبالاستعانة بحرفيين بارعين من إحدى شركات الديكور ، تم نقل الصورة لتثبيتها فوق مدفأة كهربية فى غرفة مكتب (تشارلز دكستر) بالطابق الثالث .. وبينما (وارد) يشرف على عملية النقل ، وجد تجويفًا بين قطع القرميد فوق مكان الرأس فى اللوحة .. كان التجويف مليئًا بالغبار ونسيج العناكب ، لكن معها أيضًا كانت مجموعة من

الأوراق المصفرة ، ومادة متآكلة يبدو أنها رباط كان يحزم الأوراق معًا ..

تحسس (وارد) الأوراق ، فوجدها مكتوبة بالإنجليزية إلا أنها بنوع غريب من الكتابة ، تعلم قراءته من قبل فى الجامعة .. وكان المكتوب هو «ملاحظات جوزيف كوروين عن سالم وبرفيدنس» .. وقد تحمس (وارد) بما يفوق الوصف ، وعرض هذه الأوراق على الحرفيين ، اللذين فيما بعد أقرا بأنها أصلية تمامًا .. ويعتمد د. (ويليت) على ما شهدا به من أن الفتى لم يكن مجنونًا على الإطلاق وقتها ..

فى مقدمة الأوراق كتب (كوروين) بخط يده :

«إلى من يأتى بعدى ، وكيف يقهر الزمن والحدود الأرضية»

بعد هذا تأتى أوراق مكتوبة بلغة مشفرة ، ومعها ـ فيما بدا لـ (وارد) ـ مفتاحها ، ثم العبارة «جوزيف كوروين .. حياته وأسفاره بين العامين 1678 و1687 .. إلى أين سافر وأين بقى وماذا رأى وماذا تعلم .. »

* * *

2

الآن وصلنا إلى النقطة التى يؤرخ بها أكثر الأطباء النفسيين الأكاديميين بداية جنون (وارد) .. ويمكن هنا أن نقول إنه رأى أشياء أثارت توتره ، حتى إنه عرض الأوراق على الرجلين دون أن يسمح لهما بقراءة المحتوى ذاته ، وبحماس لا يبرره اهتمامه بعلم الأنساب ولا علم الآثار .. ويبدو أنه عرض الأوراق على الرجلين فقط ؛ ليروى فضولهما الذى قد يقودهما للكثير من الكلام ..

وفى بيته قضى الليل كله يدرس الأوراق ، حتى إن الصباح جاء وهو لم يتحرك .. وحتى وجباته كان يأكلها بعد إلحاح من أمه .. وبنصف عين كان يتأمل وجه (كوروين) فى اللوحة المعلقة على الجدار .. واعتاد أن يخفى الأوراق عن والديه وانقطعت ساعات رياضته وجولته اليومية .. أما فى وقت النوم فكان يضع الأوراق فى خزانة مغلقة

بإحكام .. وبطبيعته المتوحدة الناكسة من الأصل ، لم يجد الأبوان ما يريب فى سلوك ابنهما لفترة طويلة ..

بدأ الفتى يقرأ كثيرًا ، لكن ليس فى التاريخ كما اعتاد ، بل فى السحر وعلوم الشياطين ، واعتاد أن يسافر إلى (بوسطون) ؛ ليبحث فى مكتبتها ويبتاع كتبًا غريبة .. كما أنه كان يستقل القطار إلى (سالم) ؛ ليبحث فى مكتبة جامعة (إسكس) عن مراجع أخرى .. وبدأ يهتم بأماكن المقابر القديمة فى المدينة ، وبالطبع بدأ تحصيله فى الدراسة يتدهور ، وإن كان لم يرسب فى أى متحان بعد ..

وفى مايو استدعى أبوا (تشارلز وارد) الدكتور (ويليت) كى يراه ويتكلم معه .. ولم تكن مقابلة مثمرة ؛ لأن الفتى كان متمالك الجأش مسيطرًا على الحقائق .. وبرغم أنه قليل الكلام يصعب حصاره ، فإن الطبيب عرف منه قبسًا من الأمور التى تشغل باله .. إن الأوراق التى وجدها عظيمة الأهمية ، وتمثل للبشرية صدمة تماثل الصدمة التى أحدثها

(أينشتاين) ذاته ، لكن لا يمكن استيعابها إلا بالاعتماد على علوم لم تعد مطروقة هذه الأيام .. عليه أن يتعلم سريعًا تلك الفنون التى يجب لمن يدرس أوراق (كوروين) أن يجيدها .. وقال إن قبر (كوروين) قد أزيل من عليه اسمه ، لكن بعض النقوش قد بقيت إهمالاً ، وهذه النقوش رسمت بعناية طبقًا لأوامر (كوروين) نفسه ، ومعنى هذا أنها هى مفتاح البحث .. ويبدو أن (كوروين) لم يرد أن تموت أبحاثه معه ..

بالطبع كان الطبيب رجل علم ؛ لذا قاوم الانطباع القوى بأن عينى الصورة المعلقة فوق المدفأة تتابعان (تشارلز دكستر) كلما مشى فى الغرفة ..

أما وقد طمأن الطبيب الوالدين أن ابنهما لم يمرض بعقله ، وإنما هو بصدد كشف هائل ، فقد تقبل الأبوان بشكل غير متوقع رغبة ابنهما فى ألا يذهب إلى الكلية ثانية .. قال إنه يرغب فى دراسة ما هو أكثر أهمية بكثير ، وإنه راغب فى السفر للخارج بحثًا عن مصادر معلومات معينة .. وهكذا

ـ فى سن السابعة عشرة ـ صار (وارد) طليقًا ، وقد منحه الأب فرصة ثلاث سنوات يجرى فيها أبحاثه ، ويزور المقابر القديمة التى يريدها ..

وفى عام 1923 ورث الفتى ثروة صغيرة من إحدى جداته ، فأعلن أنه راغب فى السفر إلى (ليفربول) .. ووعد أبويه بخطابات منتظمة طيلة إقامته فى العالم القديم .. فلم يجد الأبوان المذهولان إلا القبول ..

عام 1924 أرسل مذكرة صغيرة تقول إنه سيرتحل إلى باريس ؛ بحثًا عن مخطوطات فى المكتبة القومية هناك .. مرت ثلاثة أشهر ظل يرسل الخطابات من عنوان فى شارع (سان جاك) . بعد هذا انقطعت الخطابات ، ثم ـ فى أكتوبر ـ جاء الخطاب التالى من (براج) ، حيث قال إنه يستجوب رجلاً عجوزًا يملك عددًا هائلاً من مخطوطات العصور الوسطى .. ثم فى يناير جاء خطابه التالى من (ترنسلفانيا) ، حيث هو فى ضيافة من يدعى بالبارون (فرينكزى) .. وفى مايو يكتب لأبويه ينصحهما بعدم السفر للحاق

به فى أوروبا ؛ لأن قلعة البارون لا تناسب الزوار أبدًا ، والبارون نفسه ليس من النمط الذى يروق لأهل (نيوإنجلند) المحافظين الطيبين ..

ولم يعد الفتى إلى (برفيدنس) إلا فى يناير 1926 ، وكان ذلك فى المساء .. حيث راح الفتى يطل برأسه من العربة ، يلتهم الشوارع التهامًا .. (بروفيدنس) من جديد ! حيث كانت طفولته .. الأرض التى ارتحل من أجل كشف أسرارها ، وعاد لأنها تناديه ..

لقد عاد (تشارلز دكستر وارد) أخيرًا إلى وطنه ..

* * *

3

ثمة مدرسة من الأطباء النفسيين تعتبر أن رحلة (وارد) إلى أوروبا هى بداية جنونه الحقيقية .. ولكن د. (ويليت) يصر على إنكار هذا الزعم ، ويؤكد أن الجنون حدث بعدها ، وإنما غرابة تصرفات الفتى تعود لأمور غريبة تعلمها فى الخارج .. فقط ما أعطى انطباع الجنون لم يكن سوى أصوات غريبة ، تنبعث من صندرة بيت (وارد) حيث المعمل ، الذى راح يحبس نفسه فيه أكثر الوقت .. وبرغم أن هذه الأصوات كانت تخرج من حنجرة (وارد) ، إلا أن فى لكنته وصوته ما يثير الرهبة فى قلب كل من يسمعها ..

ولوحظ أن (نيج) - القطة السوداء المحبوبة - كانت تقوس ظهرها حين تسمع هذه الأصوات .. وكانت الروائح المنبعثة من المعمل أحيانًا منفرة جدًا ، لكنها فى الأغلب عطرية ذات خاصية مدوخة .. والأسوأ هو أن الفتى صار يشبه صورة

جده المعلقة على المدفأة أكثر فأكثر .. وكلما زاره الطبيب كان يجد عسرًا بالغًا فى الوصول إلى نفسيته ، وكان يرى رسومًا بالطبشور تم محوها على الأرض .. يرى نجومًا خماسية ودوائر غريبة ..

وفى العام 1927 ازدادت الأقاويل عن جنون (تشارلز دكستر وارد) ، وصار عسيرًا إبقاء الخدم فى الدار .. وازدادت طقوس السرية والانعزال ، حتى إنه صار ينام فى المعمل ويأكل فيه ، فلا يخرج إلا نادرًا لجلب بعض الكتب من المكتبة .. وفى ليلة تأخر فيها بالخارج حتى الفجر ، استطاعت الأم أن ترى عربة تقف أمام الباب ، يخرج منها أربعة رجال يحملون صندوقًا طويلاً مغلقًا ، ويدخلونه إلى البيت ..

بعد يومين تخلص (تشارلز) من الجريدة اليومية قبل أن يقرأها أحد من أهل البيت ، وفيما بعد استطاع د. (ويليت) أن يعرف تاريخ اليوم بدقة ، وذهب إلى مكتب الجريدة ليراجع النسخة المختفية ، وكان المكتوب فيها هو :

« مباغتة بعض نابشى القبور فجر اليوم »

اكتشف (روبرت هارت) الحارس الليلى فى المدافن الشمالية ، مجموعة من الرجال ومعهم سيارة فى أقدم مكان بالمقابر . ومن الواضح أنه باغتهم قبل أن يحققوا هدفهم . قد حدث هذا فى الرابعة صباحًا حينما سمع الحارس صوت محرك . ولما سمع المتسللون صوت خطواته ، وضعوا مسرعين صندوقًا فى عربتهم ، وفروا قبل أن يلحق بهم . ولما لم توجد أية مقابر منبوشة ، فإن (هارت) يؤكد أنهم كانوا يحاولون دفن الصندوق الذى معهم . وقد رجح رجال الشرطة أن هؤلاء من مهربى الخمور ، وقد حاولوا دفن بضاعتهم فى حفرة عميقة ، وجدها رجال الشرطة هناك .

فى الأيام التالية ازداد (تشارلز) عزلة وغموضًا ، وازدادت الضوضاء والروائح الغامضة المنبعثة من المكان ..

وشعر أبواه و د. (ويليت) بحيرة بالغة إزاء ما ينبغى عمله أو التفكير فيه ..

وفى تلك الليلة الغريبة تعالت صرخات (وارد) من حجرته ، وتعالى نباح فى المدينة ، وهو نباح

قوى إلى درجة أن الصحف تكلمت عنه فى اليوم التالى، وسمعته الأم المذعورة يقول بالحرف :

- « دسميس جيشيت بون دوسيف دوقما إنيتموس ! »

ولم تغب عنها دلالة هذه الكلمات ، فقد حكى لها (تشارلز) - فى الأيام الخوالى التى كان يخبرها باكتشافاته فيها - أن هذه هى الكلمات التى تصاعدت من مزرعة (كوروين) ، فى الليلة التى قتل فيها .. والآن بدأ ينشد شيئًا بدا لها مثل :

- « يى ناش يوج سوتوث هى إيجيب ثروداج .. »

وراح الصوت يعلو أقوى وأقوى .. هرعت الأم بكل ما تشعر به من ذعر ، وكل ما فى أمومتها من قوة ، تقرع الباب فى إصرار لكنها لم تتلق إجابة .. ولكن بعد قليل سمعت صرخة شيطانية مريعة تأتى من الداخل .. هنا فقدت الوعى ، وإن لم يكن بوسعها فيما بعد أن تقدم سببًا محددًا ..

وجاء (وارد) الأب من عمله ، ليجد الخدم المذعورين يخبرونه أن الأم تقف عند باب ابنها ..

هرع إلى هناك فوجدها ممدة على المدخل فاقدة الرشد .. هرع يرش وجهها بالماء البارد ، حين سمع شيئًا كاد يجعله فى نفس حالتها ..

فمن وراء الباب كان هناك صمت .. لكنه ليس صمتًا تامًا .. كانت هناك محادثة خفيضة لايمكن استيعاب مقاطعها ، لكن شيئًا فيها يثير الفزع فى النفس .. محادثة لها طابع السؤال والجواب .. والصوت الآخر لايمكن أن يخرج من حلق (تشارلز) أبدًا ، مهما بلغت براعته فى التقليد ..

حمل الأب زوجته مسرعًا إلى الطابق السفلى قبل أن تميز حرفًا من هذه المحادثة .. وقرر أن يتخذ مع ابنه إجراءات حازمة ، فمهما بلغت أهمية أبحاث ابنه ، فهى قد بلغت درجة خطرة تتهدد السلام النفسى لهذا البيت .. لابد أن الفتى قد تخلى عنه عقله تمامًا ؛ لأنه ما من تفسير لكل هذه الصرخات الجنونية والمحادثات الخفيضة مع لا أحد .. ولو لم يوقف هذا كله ، فلسوف تهلك مسز (وارد) ، ويفر الخدم جميعًا ..

وحين دخل الأب غرفة ابنه ، كان أول ما لاحظه هو أن شيئًا ما ليس فى مكانه .. دار بعينيه فى المكان ، ثم أدرك أن الصورة التى على المدفأة .. صورة (جوزيف كوروين) .. لم تعد هناك .. لقد تمزقت .. تحولت إلى أشلاء وتناثرت أجزاؤها فى كل صوب على الأرض ..

★ ★ ★

الفصل الرابع

تحول وجنون

1

فى الأسابيع التالية استمر (دكستر وارد) فى نشاطاته الليلية المصحوبة بصخب عال ، أو صوت محاورات مع طرف مجهول ، وفى كل مرة كان الأب يكتفى باللوم ، بينما ابنه يقدم وعودًا واهية .. وفى الآن ذاته حدثت حادثة معينة فى مقبرة البلدة ، تتعلق بنبش قبر من يدعى (عزرا ويدن) .. وقد أخرج المجهول جثته ـ أو ما تبقى منها ـ ومزقها بالفأس تمزيقًا .. لم يعرف أحد الفاعل ، وإن كانت آثار الأقدام التى وجدوها جوار القبر تدل على حذاء رجل ثرى .. لم يعرف آل (ويدن) سبب هذا ولم يتهموا أحدًا ، أما حارس المقبرة فذكر الشرطة بحادث مماثل منذ شهر ، لكن الشرطة استبعدت وجود علاقة بين الحادثين ..

فيما بعد ربط الأطباء النفسيون بين هذا الحادث والشاب (تشارلز دكستر وارد)، كما أنهم ربطوا بينه وبين حوادث مص الدماء التى تكررت فى المنطقة مؤخرًا .. إن هذه الحوادث حديثة جدًا وشهيرة بحيث لاتحتاج إلى شرح مفصل .. لقد بدا أنها تستهدف ضحايا متباينى السن والنوع، وبدا أنها تستهدف منطقتين: (نورث إند) قرب بيت آل (وارد) ومزرعة (بوتكست) .. لقد هوجم عابرو الطريق وأصحاب المنازل ذات النوافذ المفتوحة، ومن ظلوا أحياء تحدثوا عن وحش نحيل رشيق، كان يغرس أسنانه فى حناجرهم أو أذرعهم، ويمتص الدماء بنهم ..

وقد رفض د. (ويليت) فى إصرار أن يربط بين (تشارلز وارد) وهذه الحوادث، وقال: «لم يكن (وارد) قادرًا على هذه الأفعال ولم يذق طعم الدم قط .. لقد تورط فى أمور مريعة دفع ثمنها غاليًا، لكنه ليس غولاً ولا وحشًا».

وساءت حالة الأم كثيرًا، وتدهور جهازها العصبى، مما دفع الطبيب إلى أن يطلب إرسالها إلى

إحدى المصحات البعيدة. ونصح الأب والابن ألا يرسلا لها إلا خطابات تحوى كل خبر سعيد ..

وربما كان هذا هو الشىء الذى أنقذ حياتها ..

بعد هذا اتخذ (وارد) عدته كى يشترى مزرعة (بوتكست) .. وألح إلحاحًا شديدًا على السماسرة، حتى اشتراها بعد جهد، وبثمن باهظ من مشترٍ متردد قليلاً ..

وسرعان ما نقل كل متاعه وحاجياته إليها فى عربة، تحت جناح الليل .. وكان متاعه يتكون من أجهزة معمله وكتبه الرهيبة .. وسرعان ما بدأ يستقر هناك ويقضى فترات أطول، واتخذ له رفيقين، أحدهما برتغالى شرير الشكل نصف هجين اسمه (جوميز)، والآخر رجل أكاديمى من زملائه له لحية مصبوغة وعوينات سميكة، عرف الجيران أن اسمه د. (ألين) ..

ولقد راحت الإشاعات تسرى فى البلدة عن التجارب الكيميائية الغامضة التى يقوم بها (وارد)،

وعن كميات اللحم الضخمة التى تجىء من الجزار ، وعن أصوات الاستغاثة والهلع التى تصدر من المزرعة ليلاً .. وربط القوم بين هذه المزرعة وبين وباء مصاصى الدماء ، الذى اجتاح المكان فى دائرة مركزها هو المزرعة ..

ظل (وارد) يعيش تحت سقف أبيه ، وازداد ضعفًا ونحولاً .. ولم تبد قصصه هذه المرة مقنعة ، وهو يحكى للدكتور (ويليت) عن بحوثه المستقبلية العظيمة .. وحتى هذه اللحظة كان د. (ويليت) يصر على أن الفتى عاقل تمامًا ..

فى 9 فبراير 1928 ، تلقى د. (ويليت) من (تشارلز) خطابًا يعتبره ذا أهمية فائقة ، لكن د. (لايمان) يصر على أن هذا الخطاب نموذج لحالة من العته المبكر (ديمنشا بريكوكس) . بينما يصر (ويليت) على أن الخطاب هو آخر كلمات عاقلة للفتى عاثر الحظ .. ونص الخطاب كما يلى :

8 فبراير 1928

بروفيدنس

عزيزى د. (ويليت) :

أشعر أن الوقت قد حان أخيرًا كى أكشف ما وعدتك به من زمن ، ولن أكف أبدًا عن تقدير ما أظهرته لى من كرم ، وما منحت لى من ثقة وصبر . على أننى أعترف أنه بدلاً من النصر الذى حسبته لم أجد إلا الرعب .. ليس هذا إعلان نصر بل طلب غوث .. طلب نصح لأنقذ نفسى والعالم من هول يفوق كل حسابات وتخيلات بشرية .. هل تذكر ما حكيته لك عن الحملة الليلية على مزرعة (كوروين) ؟ يجب تكرار هذا الآن .. وعليه يتوقف سلام هذا البلد .. سلام القوانين الطبيعية .. سلام البشرية .. وربما سلام هذا الكوكب ..

لقد جلبت لعالمنا شيئًا مخيفًا ، والآن من أجل الحياة والبشر يجب أن تساعدنى على إعادته إلى الظلام ثانية .. لقد فارقت مزرعة (بوتكست) للأبد ، وعليك أن تستأصل كل ما هناك حيًا أو ميتًا ..

ولاتصدق من يقول لك إننى مازلت هناك .. ولسوف أفسر لك كل شىء حين تجد لديك سبع ساعات متصلة تصغى فيها إلى قصتى كاملة .. نعم .. إن القصة بهذا الطول حقا .. إن لدى أربعة رجال من وكالة خاصة يراقبون المنزل ، لكنهم ليسوا بهذه الكفاءة لأنهم لايعرفون ما هم بصدده .. تعال إلى منزلى ، ولاتتلفن لأننى لا أعرف من ـ أو ما ـ يمكن أن يعرف ويعترض طريقك ..

بكل جدية ويأس
تشارلز دكستر وارد

ملحوظة :

« أطلق الرصاص على د. (ألين) بمجرد رؤيته وأذب جسده فى الحمض .. لاتحاول حرقه .. »

قرأ د. (ويليت) الخطاب العجيب . كانت الساعة العاشرة صباحًا ، ولم يكن يستطيع تأجيل سماع القصة أكثر من هذا .. فقرر أن يتوجه إلى دار (وارد) فى الرابعة عصرًا ، وهكذا يمكن إنهاء سماع القصة فى العاشرة مساءً ..

وفى الرابعة اتجه إلى البيت ، لكنه ـ لخيبة أمله ـ لم يجد الفتى .. قال له أحد المخبرين الواقفين على الباب ، أن (وارد) الشاب تلقى مكالمة صباح اليوم بدت كنوع من التهديد ، وإنه راح يردد فى الهاتف عبارات من قبيل : « لاترسل المزيد.. فأنا مرهق » و « أنا بحاجة إلى إجازة » و « لاتفعل شيئًا قبل أن نتفق » .. ثم وضع السماعة وغادر الدار .. وفى الواحدة بعد الظهر عاد ليتخلص من بعض الكتب على رفوف مكتبته ، وكان صوت البكاء والأنين عاليًا ، حتى إن الخادم تساءل عن وجود مشكلة ، لكن (تشارلز) نظر له نظرة جعلت الدماء تجف فى عروقه ، ثم غادر الدار من جديد ..

دخل د. (ويليت) المكتبة وقضى ساعتين ينتظر عودة الفتى بلا طائل .. راح يتأمل رفوف الكتب ، ثم توقفت عيناه عند اللوحة التى تفتتت وتمزقت فوق المدفأة .. الحق أنه لم يحب تلك الصورة قط ، وبرغم قوة أعصابه ، فإنه شعر كأنما تركت خلفها جوًا من الشر .. فلم يملك حين غادر الدار أخيرًا ، أن يشعر بامتنان شديد لكونه يشم الهواء النقى من جديد ..

★ ★ ★

2

مرت أيام لم يعد فيها الفتى إلى الـدار ، واتصـل د. (ألين) بالأب يخبره أن ابنه منهمـك بصدد عدد من الاكتشافات المهمـة ، لهذا سيتغيب طويـلاً فـى المزرعة .. لم يتمالك الأب شعوره بأن هذا الصـوت مألوف يذكره بشىء مـا .. وهنـا وجد د. (ويليت) نفسه حائرًا بين تصديق خطاب الفتى ، وبين تصديق زميله الغامض ذى اللحية .. وأخيرًا بعد أسبوع قر قراره على زيارة المزرعة ؛ لمعرفة الحقيقة من فم صاحبها ..

قاد سيارته عبر طريق (لوكوود) ، ثم ترجل .. ومشى بين البيوت القليلة هناك ..

قرع البـاب بحزم ، ثم تكلم بجرأة مـع الهجين البرتغالى المخيف الذى فتح البـاب .. قـال إنـه يجب أن يرى (تشارلز وارد) للأهمية ، وهو لن يقبل أى عذر ، ولن يجدى منعه إلا فى جعله يبلغ الأمر إلى

(وارد) الأب .. تردد البرتغالى قليلاً ، لكن (ويليت) كرر أمره بصوت أعلى .. هنا سمع من الظلام صوتًا مبحوحًا يثير الرعب وإن كنت لاتدرى لِمَه :

ـ «دعـه يدخـل يا (تونـى) .. يمكننـا أن نتكلم الآن .. »

ثم صدر صريـر من الأرضيـة ، فـاتضح أن قـائل هذه الكلمـات لـم يكن إلا (تشـارلز وارد) نفسـه .. وتكمن أهميـة هذه المحادثـة فى أنهـا المـرة الأولى التـى يقر فيهـا (ويليت) بحـدوث خلـل فـى عقـل (تشارلز) ، وللمرة الأولى يعترف بأن هذا العقل كان عقلاً غريبًا عن العقل الذى رباه منذ ستة وعشـرين عامًا ..

انحنـى الفتـى واقتـاد الطبيب إلـى الداخـل ، وراح يتحدث بذلك الصوت المبحوح الغريب الذى حاول أن يفسره :

ـ «قد أصبت بالدرن من هـواء النهر المشئوم هـذا .. أعتقد أنـك موفد من أبـى لترى مادهـانى ، وإننى لآمل ألا تخبره بما يقلقه .. »

سأله د. (ويليت) عن خطابه الأخير المذعور، وهو يتمنى لو لم يكن المكان مظلمًا إلى هذا الحد .. فقال الفتى:

ـ «كنت سأتطرق لهذا .. إننى فى حالة عصبية سيئة، وأقول وأفعل أشياء غريبة بلا تفسير .. لكنى أؤكد لك أننى لا أفعل شرًا، وإننى لأرجو أن تمهلنى ستة أشهر أخرى .. إننى أتعلم أشياء مهمة لكن ليس من الكتب .. لقد كان سلفى يملك هذه القدرات حين جاء البصاصون ودمروه .. أنا الآن قريب جدًا من هذا المستوى .. د. (ألين) رجل كريم، وإننى لأعتذر عن أى شىء سيئ قلته بصدده .. إنه ذو عون عظيم لى، ولأننى كنت أهاب العمل، فقد هبته هو أيضًا بنفس القدر .. ويؤسفنى أنه ليس هنا الآن؛ لأنه يقوم بعمل ما فى مكان آخر»

نظر له د. (ويليت) ولم يجد ما يقول .. لكنه كان أميل إلى تصديق الخطاب؛ لأنه أقرب إلى (وارد) الذى عرفه، منه إلى تلك المحادثة الغريبة المريبة .. وقد لاحظ فى حواره مع الفتى، أن الأخير

بدا أكثر اهتمامًا وتفاعلاً مع الماضى بشكل غريب .. أكثر بكثير مما يمكن أن يهم دارس تاريخ، لكنه كان يتحدث برغمه عن الحاضر، ويبذل جهده كى يقنع د. (ويليت) بأن كل شىء على ما يرام، ويمكنه أن يرحل فلا يرجع .. بل إنه دعاه ليرى معمله ومكتبته فى المزرعة ..

أدرك (ويليت) على الفور أن هذه الكتب والمعدات القليلة ليست سوى غطاء خداع واه جدًا .. بالتأكيد توجد فى مكان ما مكتبة ومعمل حقيقيان، ولكن أين؟

فى النهاية ـ وقد فشل فى العثور على شىء لا يعرف كنهه ـ عاد إلى (وارد) الأب وأخبره بكل شىء .. قرر الأب ألا تعرف الزوجة بأى شىء، وقرر أن يزور ابنه بنفسه زيارة مفاجئة ليرى ما هناك .. لكن الزيارة لم تثمر عن أية معلومات ذات قيمة، ما عدا أن الفتى صار أسوأ .. ولم يعد يحتمل أى نوع من الضوء، كما أن صوته المبحوح جعل من سماعه شيئًا عسيرًا ومخيفًا معًا .. والأسوأ هو أن موظفى

المصارف جاءوا إلى البيت يتساءلون عن سبب تغير توقيع الفتى على الشيكات ، بحيث لم يعد يشبه توقيعه الأصلى أبدًا ، وقد زعم الفتى لمن قصدوا المزرعة أن مرضه العصبى جعل يده ترتجف فى أثناء الكتابة .. ولاحظ الموظفون أن الفتى صار بالغ الجهل بالأمور المالية ، التى كان يعالجها بعناية منذ شهر أو أكثر .. لاحظوا كذلك أنه تغير .. كانوا يعرفون أنه مولع بالآثار والتاريخ ، لكن مهما بلغ ولعه ، فلن يصل الأمر إلى أن يستعمل لغة قديمة عجيبة ، ويأتى بإيماءات غفل عنها الزمن ..

فى النهاية ـ فى شهر مارس ـ جاء د. (ويليت) بثلاثة من الأطباء النفسيين ، وذهبوا مع الأب ليقابلوا الفتى ، ويطلبوا منه أن يقبل دخول المصحة .. من الغريب أن الفتى لم يقاوم وقبل الفكرة على الفور ..

★ ★ ★

وفى المصحة الخاصة الجميلة التى يملكها د. (ويت) على الساحل فى (كونانيكت) ، شرع

الأطباء يفحصون الفتى بعناية .. هنا فقط لاحظوا التغيرات الجسمانية التى طرأت عليه ؛ التمثيل الغذائى البطىء والجلد الغريب والانعكاسات العصبية المحيرة .. وكان أفضل الملاحظين بالطبع هو د. (ويليت) ؛ لأنه يعرف الفتى من طفولته .. حتى الوحمة الشبيهة بالزيتون على الردف قد اختفت ، وظهرت وحمة على صدره لم تكن هناك قط .. وقد ذكرت الطبيب بالعلامات التى يرسمونها للسحرة فى بعض بقاع الأرض النائية .. ضايقه كذلك وجه الفتى دون أن يعرف لذلك سببًا ، حتى تذكر فجأة أن فوق عين الفتى اليمنى توجد ندبة كالتى رآها فى صورة (جوزيف كوروين) ..

فى الآن ذاته عكف الأب و(ويليت) على مطالعة بريد الفتى الذى يصل إلى المزرعة ، وقد استلفت نظرهما هذا الخطاب الغريب القادم من (ترانسلفانيا) موجهًا إلى د. (ويليت) :

- «قلعة فيرينكزى

7 مارس 1928

عزيزى :

جاءنى عشرون جنديًا للتحقيق معى فيما يقول الريفيون عنى .. هؤلاء الرومانيون يضايقوننى حقًا ، فى الوقت الذى كان بوسعك فيه شراء أى مجرى ببعض الطعام والشراب(*) ..

سرنى أنك تطلب أعدادًا أقل هذه الأيام ؛ لأن الحراس من غير رأس خطرون ، ويمكن أن يجلبوا المتاعب لو وجدهم أحد عندك .. هل مازال فتاك خائفًا ؟ لو وجدته كذلك فمن الصالح أن تضع نهاية للأمر .. إن لديك اليدين القويتين والمسدس والسكين ، والقبور ليست عسيرة الحفر ..

خلال عام سأحصل على العدد الذى أريد من تحت (ممفيس) ، عندها لن تكون حدود لما نستطيع عمله .. وتذكر أننى أفوقك خبرة بمائة وخمسين عامًا .

نفروكان آى حادوث .. »

(*) ترانسلفانيا كانت تتبع المجر ، ثم صارت تتبع رومانيا فى هذا الوقت تقريبًا ..

الفصل الخامس

كابوس وطوفان

1

والآن تجىء سريعًا تلكم الخبرة المروعة ، لتترك آثارها على وجه من يعرف باسم (مارينوس بكنل ويليت) ؛ وتضيف عقدًا إلى سنه المتقدمة أصلاً .. لقد أدرك مع الأب أن هناك شرًا مستطيرًا يحيق بالعالم ، أقدم بكثير من سحر (سالم) .. وقد استحوذ هذا الشر على رجلين على الأقل منهما (تشارلز وارد) .. أما ما يقوم به هؤلاء فقد صار واضحًا الآن من الخطابات والحقائق التى بدأت تتجمع .. إنهما يمارسان (النكرومانسى) ببراعة مستعينين بخبرة غولين من (رومانيا) و(وبراج) ، وهما اللذان استعان بهما (تشارلز) فى أبحاثه السابقة .. يسطوان على المقابر القديمة حيث يرقد أحكم وأعظم الرجال ، أملاً فى أن يستردا من الغبار بعض بقايا العقل والوعى اللذين كانا يحركان هؤلاء ..

لقد وجدا طرقًا آثمة لإعادة الحياة إلى تلك العقول ، ربما فى نفس الجسد أو جسد آخر ، وهذا يذكرنا بكلام (بوريللوس) عن استحضار (أملاح جوهرية) من بقايا الجثث .. ومن هذه الأملاح يمكن الحصول على الحكمة مقطرة .. ثمة معادلة لاستحضار هذه الأملاح ، ومعادلة لإعادة التراب إلى حالته .. ومن الواضح أنها أجادا هذا الأسلوب وصارا قادرين على تعليمه ..

وارتجف د. (ويليت) ود. (وارد) وهما ينتقلان من استنتاج مخيف إلى آخر .. ماذا عن (تشارلز) ؟ أية قوى مخيفة وصلته من جده (جوزيف كوروين) وجعلت عقله يعيش فى الماضى تمامًا ؟ من الواضح تمامًا أنه وجد قبر (كوروين) .. إن حادثة سرقة المقبرة أمر لا يمكن نسيانه بسهولة ..

من الواضح كذلك أن (تشارلز) استدعى شيئًا ما فجاءه .. هذا هو سر الصوت الذى سمعه الأب يتحدث مع (تشارلز) خلف باب الغرفة .. أليس هذا

الصوت هو نفسه صوت د. (ألين) حين تحدث إليه هاتفيًا ؟ ترى أية حضرة مفزعة لبت نداء (تشارلز) خلف ذلك الباب المغلق ؟ إن د. (ويليت) يشعر - بل ويعرف - الآن أن عقل (جوزيف كوروين) قد عاد يمارس الوجود على هذه الأرض ..

وقرر الرجلان أنه مادام من المؤكد وجود أنفاق سرية تحت المزرعة ، فإن من واجبهما استكشاف هذا المكان بعناية .. وقررا أن يحضرا حقيبتين تحويان ما يلزم للحفر والتنقيب ..

وفى صباح السادس من إبريل وصل الرجلان إلى المزرعة .. كانت خالية الآن ، وكانا يعرفان أن العمل الحقيقى يبدأ فى القبو .. وكان (ويليت) يعتقد أن الطريق الصحيح للبحث هو أن يفكر بنفس طريقة (وارد) الشاب ، الذى بحث عن الأقبية للمرة الأولى ، دون أن تكون لديه فكرة عن مكانها إلا الإشاعات .. وبالمزيد من التدقيق ، وباستعمال طريقة الاستبعاد ، استطاع أن يجد جزءًا منزلقًا من الأرضية .. وتحته وجد غطاءً من الخرسانة له حلقة يفتح منها ،

وكان سهل الفتح .. لكنه لاحظ شيئًا غريبًا على الأب .. كان يتأرجح أمامًا وخلفًا كدن ثقيل ، وأدرك (ويليت) أن هذا بسبب الهواء المسموم القادم من الفتحة ، لذا لم يترك شيئًا للظروف .. أخرج الرجل من المزرعة ، وأرغمه على أن يستقل سيارة أجرة تعود به إلى داره ، ثم عاد وحيدًا إلى تلك الفتحة فى الأرضية .. أخرج كشافًا ولف منديلاً حول أنفه .. ثم تفحص الفتحة جيدًا ، فوجد أن بداخلها درجات سلم معدنى وسط جدران من خرسانة ، بعدها تبدأ درجات صخرية تهبط إلى أسفل ..

* * *

ثم عاد وحيدًا إلى تلك الفتحة فى الأرضية .

2

لم تكن الدرجات حلزونية ، ولكنها مستمرة لأسفل بلا انقطاع .. وقد عد الرجل ثلاثين وهو يهبط ، حين سمع صوتًا غريبًا .. عندها كف عن العد .. صوت من خوارق الطبيعة التى ما كان لها أن توجد .. هل يمكن أن ندعوه لحمًا يتألم من دون عقل ؟ أى صوت هذا ؟ لقد بدأ واستمر إلى ما لانهاية ..

حاول ألا يفكر فى (جوزيف كوروين) وتجاربه الرهيبة ، وراح يستكشف المكان الذى وصل إليه .. إنه مجموعة من الغرف ذات الأسقف الحجرية المنحوته ، والتى تمثل ثروة لهواة دراسة المعمار .. هناك غزو هائل من الغبار وخيوط العنكبوت ، لمكان لايبدو أن قدمًا قد دخلته منذ قرن ونصف .. أخيرًا وصل لغرفة على شىء من الحداثة ..

كانت هناك رفوف كتب ومواقد زيت ومصابيح فى كل مكان .. وكان يريد أن يجد الأوراق المشئومة ،

تلك التى أخرجها (وارد) الشاب من وراء الصورة فى (أورن كورت) .. لكن كيف يمكن هذا مع كل هذه الأوراق ؟ إن الأمر يحتاج إلى أيام وشهور .. أخيرًا وجدها فى خزانة من الماهوجنى ، وعرفها لأنه سمع شهادة العاملين اللذين شاهداها مع (وارد) من قبل .. رأى هذه العبارات مكتوبة إلى جوار رسم تنين يحدد اتجاه القراءة الصحيح من رأسه إلى ذيله ، وكان المكتوب عند الذيل هو :

ياى نجاه ، يوج سوثوث

هى لجيب

فاى ترودوج ، يواه ، جيب ليب

ززو

كان شىء ما فاتنا فى هذه العبارات ، حتى إنه وجد نفسه يرددها مع أنفاسه دون أن يدرى .. ثم قرر أن عليه أن يجد المعمل .. عليه ألا يفكر فى كل البحارة الذين اختفوا ، وكل القبور التى انتهكت ، وكل الأهوال التى رآها الرجال الذين هاجموا هذا المكان من قرن ونصف .. المشكلة هى أن الضجيج

يتعالى وثمة ما يشعرك بأنه قادم من أسفل .. بينما العفن يزداد قوة .. هذه قاعة تحيط بها درجات حجرية ، وثمة فتحات موحية فى الأرضية ..

فى النهاية وجد غطاء على الأرض ثبتت به حلقة معدنية .. مد يده ورفع الغطاء ، فتصاعدت أخبث رائحة شمها فى حياته ، وفى هذه المرة اختلط الأنين بصوت ضربات مكتومة .. مد ذراعه بالكشاف ليرى أى شىء يرقد فى قاع تلك الحفرة ، فرأى شيئًا أسود يصعد ويهبط فى جنون محموم على جدران الحفرة التى تبعد عشرين قدمًا .. أيًا كان هذا الشىء فلابد أنه جائع بعد شهر كامل منذ دخل (وارد) المصحة .. لهذا السبب كان (كوروين) يبتاع كل هذه الكميات من اللحم التى لفتت نظر القرية ..

قرب رأسه ونظر نظرة أخرى ، وهى النظرة التى ندم عليها فيما بعد كثيرًا ، لأنها أنهت تاريخه المهنى كجراح عظيم ، وجعلته أقرب إلى المجانين فى مصحة د. (ويت) .. سقط المصباح من يده

التى فقدت توافقها العضلى ، وسمع صوت الأسنان فى قاع الحفرة وهى تمضغ المصباح .. صرخ وصرخ كما لم يحسب نفسه قادرًا .. ولما كانت قدماه عاجزتين عن السير ، فقد راح يزحف على ركبتيه مبتعدًا .. أما ما رآه فشىء لايمكن وصفه .. كان أقرب إلى نقش على ضريح كابوسى لكنه حى .. كان كيانًا مشوهًا غير مكتمل لايمكن أن يكون ابن الطبيعة ..

راح العرق يسيل منه وهو يزحف فى الظلام مذعورًا .. وهنا رأى ما لن ينساه أبدًا .. كانت واحدة من تلك الفتحات فى الأرضية تنزاح لأعلى ببطء .. وكان يعرف أن الشىء الذى رآه لن يستطيع تسلق الجدران الزلقة ، لكنه كان يخشى أن يمسك بقدمه ..

راح يزحف فى الظلام مرددًا الصلوات .. باحثًا عن أى ضوء فى الظلام الدامس من حوله .. ضوء يمت لما تركه فى المكتبة .. كان يتحسس الأرض فى ذعر خشية أن يقع فى فتحة لايراها ، بينما

الرائحة الخانقة وصوت الأنين يصمان مسمعيه .. والمشكلة هى أنه لم ير ما فى باقى الفتحات لحسن حظه ! ذات مرة لمست يده الحلقة التى فتحها من قبل فجذب يده فى هلع ..

أخيرًا رأى ضوءًا خافتًا من شمعة كان قد أشعلها فى المكتب ، وتلفظ آخر أنفاسها .. وقد جعله هذا يثب على قدميه ؛ لأن هذا الضوء هو آخر أمل له فى الخروج من هذا التيه الجهنمى ..

وفى النهاية بلغ الشمعة المحتضرة فى غرفة مكتب (وارد) .. الشمعة التى أنقذت حياته ..

* * *

3

ملأ المصابيح بالزيت وجيوبه بالشمع والثقاب ، ثم قرر أن يواصل استكشاف المتاهات المعقدة .. هذه مهمة كريهة لكن لابد من عملها ..

كان معمل (وارد) هو ما يريد .. فى النهاية وصل إلى غرفة بها مجموعات غريبة من القوارير ، بعضها مستدير وبعضها طويل .. لاحظ أن القوارير مصفوفة بعناية على جانبى الغرفة .. وكان بعض القوارير يدعى (كستودز) وبعضها يدعى (ماتريا) ، كما كتب على لافتة خشبية هناك .. كانت كل زجاجة مسدودة بسدادة من معدن ، وعلى كل منها رقم ربما يشير إلى مفتاح فى كتالوج ما .. تناول قارورة من كل نوع وفتحها ، فلم يجد بها إلا مساحيق ذات ألوان مختلفة .. ولاحظ أن الألوان لا تختلط .. كما لاحظ أن المسحوق لايلتصق أبدًا .. لقد سكب بعضه على كفه ، ثم أعاده إلى القارورة فلم يبق شىء على كفه .. (كستودز) اللاتينية معناها

(الحرس) و (ماتريا) معناها (المواد) .. لكن ما معنى هذا ؟ هنا جاءته لمحة إلهام .. الحرس هم المسئولون عن الحراسة والتعذيب والاستجواب ، أما المواد فهى بقايا العلماء الذين اختطفتهم عصابة السحرة هذه من قبورهم ، وبطريقة آثمة ضالة يتم استجواب بقاياهم لمعرفة ما يملكون من حكمة ..

واقشعر جسد (ويليت) وهو ينظر إلى يديه اللتين أمسكتا بهذا الرماد الرهيب !

فى قاعة أخرى وجد أدوات تعذيب ، من النوع السائد فى عهود محاكم التفتيش ، وجوار الأدوات وجد زجاجتين من النوع المسمى (كستودز) .. كانتا فارغتين طبعًا .. لكنه فهم ما كان يدور فى هذه الغرفة الرهيبة ، وعلى الجدار قرأ كلمات بخط قديم كتبت على الحجر ، وكان قد اعتاد رؤية خط (جوزيف كوروين) :

« **يى ناش يوج سوتوث هى إيجيب ثروداج ..** »

وهى تقريبًا ذات العبارات التى سمعتها الأم من غرفة ابنها فى تلك الليلة ، وإن كانت مختلفة قليلا

حسب ما تناهى لسمع الأم المذعورة وقتها .. أحس بأن هناك اختلافًا غريبًا فى المقاطع ، ودون أن يدرى السبب وجد نفسه يترنم بالكلمات كما يقرؤها الآن ، وكما سمعها من الأم ، وكان صوته مريعًا وسط هذا الظلام ، ووسط صوت الأنين القادم من أسفل :

« **يى نجناه يوج سوتوث .. هى إيجيب فاى ثروداج .. أوواه !** »

لكن ما سر تلكم الريح الباردة التى هبت بمجرد الغناء ؟ تأرجح ضوء الشموع ، ثم وجد أن القارورة الملقاة على الأرض بمسحوقها الغريب ، قد راح يتصاعد منها بخار كثيف .. يا إلهى الرحيم ! وتذكر الخطابات التى وصلت إلى (كوروين) :

« أقول لك ثانية : لا تستدع ما لا تقدر على إعادته .. كن مستعدًا بكلمات الرقاد طيلة الوقت .. ولا تكف عن الاستيثاق ممن لديك .. »

يا إلهى الرحيم ! ما هذا الشكل خلف الدخان الكثيف ؟

★ ★ ★

لم يأمل (ويليت) قط أن يصدق أحد جزءًا من قصته، لهذا احتفظ بها لنفسه حتى آخر أيامه .. لكن (وارد) الأب صدقها تمامًا .. ألم يعاين ما حل بابنه؟ ألم ير بنفسه البئر كريهة الرائحة؟ ألم يعد لداره فاقد الرشد، ويحاول الاتصال بالطبيب طيلة الليل؟ ألم يقرر هو نفسه أن يدخل المزرعة، حيث وجد الطبيب ممددًا فى فراش بالطابق العلوى، يتنفس بصعوبة، وفتح عينيه فقط بينما (وارد) الأب يقتاده إلى السيارة؟

كل ما قاله الطبيب للأب المندهش هو:

- «هاتان العينان! تلك اللحية! إليك عنى!»

وفيما بعد - فى أكثر الغرف إضاءة وشمسًا - جلسا، وراح الطبيب يحكى للأب المذعور كل شىء حتى لحظة خروج البخار الأخضر من الزجاجة .. هنا تساءل الأب فى تردد:

- «هل تظن أن الحفر قد يفيدنا؟»

لكن الطبيب لم يملك إلا أن يهز كتفيه مؤثرًا الصمت .. مد يده فى جيبه بحثًا عن منديل، فوجد

قصاصة من الورق لها رائحة كريهة، واضح أنها قادمة من المكتبة الرهيبة تحت الأرض .. وكانت عليها رموز غريبة مع كلمات مختصرة بلغة قديمة مندثرة، جعلت الرجلين يهرعان إلى مكتبة (جون هاى) الموجودة على المرتفع ..

وفى المكتبة استطاع الرجلان أن يجدا كتبًا تتحدث عن اللغات القديمة، وبالفعل عرفا أن هذه الحروف تمثل طريقة الكتابة الساكسونية من القرن السابع أو الثامن .. ذلك الزمن الذى راح فيه قمر بريطانيا الشاحب يشع على أطلال (كيرليون) و (هكسام) الرومانية، وعلى أبراج سور (هادريان) .. وكانت تقول بلاتينية بربرية ما معناه:

- «(كوروين) يجب أن يقتل .. يجب أن يذاب جسده فى الحمض .. والزم الصمت قدر الإمكان ..»

ظل الرجلان صامتين يفكران حتى أرغمتهما ساعات العمل بالمكتبة على الانصراف .. من الواضح تمامًا أن (كوروين) الذى يجب أن يدمر هو نفسه د. (ألين) .. الرجل ذو العوينات واللحية؛

لأن هذه هى تقريبًا نفس كلمات (تشارلز) المخبولة فى خطابه القديم .. والآن هذا الخطاب من مصدر مجهول يقول الشىء ذاته باللاتينية .. لو لم يدمر (ألين) فمن الواجب وضعه حيث لا يؤذى (وارد) الشاب .. سواء كان (ألين) هو نفسه أم هو تناسخ (كوروين) لو كان شىء كهذا ممكنًا ..

* * *

4

وفى دار (وارد) جلس د. (ويليت) مع الأب ينتظران عودة المخبرين الثلاثة الذين كلفاهم بالبحث عن (ألين) .. كانا يجلسان فى الطابق السفلى ؛ لأن الطابق العلوى قد امتلأ بجو عام من الغثيان .. غثيان لم يفهم أحد سببه ، وقال الخدم إنه لعنة غامضة جاءت من تلك الصورة الرهيبة المتحللة .. جاء المخبرون وقالوا إنه ما من أثر للمدعو (ألين) ولا للبرتغالى ، لكنهم وجدوا فى المزرعة بقايا لحية مصبوغة وعوينات ، مما يدل على أن لحيته تلك كانت مزيفة .. وفى القرية كان الفلاحون يربطون بينه وبين حوادث مص الدماء فى الصيف الماضى ، أكثر مما يربطون بينها وبين (وارد) .. ثم هناك موضوع الندبة على عينه اليمنى وصوته العميق الغريب .. وخطه غير المألوف فى هذا العصر ..

هنا ارتجف الرجلان معًا للفكرة الرهيبة التى خطرت لهما فى الوقت ذاته .. من رأى (تشارلز) و (ألين) معًا من قبل فى الوقت ذاته ؟ (كوروين) – (ألين) – (وارد) .. كيف تم هذا الاندماج الشيطانى لرجلين من عصرين مختلفين ؟ قام الأب بعمل كان يخشاه ، هو أن أخذ صورة لابنه ورسم لها لحية وعوينات غليظة ، ثم طلب من المخبرين أن يعرضوها على القوم جوار مزرعة (بوتكست) ويسمعوا ما يقولون .. وعاد المخبرون يقولون إن الشبه شديد فعلاً .. ما معنى هذا ؟ لماذا طلب (وارد) فى خطابه أن يقتل د. (ألين) ويذاب فى الحمض إذن ، إذا كان هو الشخص ذاته ؟ قال الطبيب إنه راغب فى الانفراد بنفسه فى غرفة مكتب الفتى ، فسمح له الأب ..

مر الوقت ثم فاحت رائحة دخان قادمة من أعلى ، كأن الرجل كان يحرق بعض الأوراق .. بعدها هبط إلى الأب وطلب منه ألا يوجه إليه أية أسئلة .. وغادر الدار ..

* * *

ولمدة خمسة أيام ظل د. (ويليت) فى داره يستشفى من آثار الصدمة ، ثم إن الخطاب التالى وصل إلى الأب (وارد) :

10 شارع بارنز
بروفيدنس
عزيزى تيودور :

أشعر أن على أن أقول لك شيئًا قبل أن أقوم بما أنوى القيام به غدًا .. أنت تعرفنى منذ كنت طفلاً ، ولن تفقد ثقتك بى إذا ما قلت لك إن هناك أمورًا يجب ألا تثار .. من الخير ألا تحقق أكثر فى قضية (تشارلز) .. حين أطلبك غدًا سيكون (تشارلز) قد فر من المصحة .. هذا كل ما يجب أن يبقى فى ذاكرة المرء .. إنه مجنون وقد هرب .. يمكنك أن تخبر أمه بهذا فقط ، ثم خذها إلى (أتلانتا) للاستجمام .. والله يعلم أنك بحاجة إلى الراحة أنت الآخر .. سأرحل أنا إلى الجنوب ، فلاتسألنى أية أسئلة حين أتصل بك ..

إن ابنك فى أمان .. بل هو الآن أكثر أمنًا مما تظن .. لكنك لن تراه ثانية .. أقول لك بصراحة إنه

مصاب بمرض خاص .. مرض أثر فى جسده كما أثر فى عقله .. لقد ارتاد أماكن ما كان لفان أن يرتادها ، وهذه الأماكن التهمت عقله ..

« بعد عام يمكنك أن تعلن وفاة (تشارلز) رسميًا وتضع شاهدًا على مقبرة أسرتكم باسمه ، بالذات فى الناحية الشمالية حيث قبر أبيك .. هذا القبر سيكون قبر (وارد) الحقيقى .. الذى لم يتلوث والذى ما زال يحمل الوحمة على ردفه ، والذى لاتوجد آثار شيطانية على صدره .. »

«من جديد أكرر أن عليك ألاتوجه أسئلة ، واعلم أن شرف أسرتك بخير كما كان دائمًا ..

المخلص : مارينوس ويليت »

وهكذا صباح الجمعة 13 إبريل 1928 ، زار (ويليت) الفتى فى المصحة العقلية ، ورأى الفتى فى عينى الطبيب نظرة مخيفة لم يعهدها من قبل .. نظرة فيها لون من الانتقام .. قال للفتى :

ـ « لقد بحث الرجال عن د. (ألين) فلم يجدوا إلا لحية مستعارة وعوينات .. وهى تناسبك جدًا .. »

قال الفتى فى تحدٍ :

ـ « وما المشكلة فى أن يرغب رجل فى اكتساب شخصيتين ؟ »

ـ « من حقه هذا .. فقط لو كان له حق الوجود أصلاً .. »

ثم أضاف فى تصميم :

ـ « لقد وجدت بعض الأوراق خلف صورة قديمة فوق مدفأة .. وقد أحرقتها ودفنت الرماد حيث يجب أن يكون قبر (تشارلز دكستر وارد) »

هب الفتى ثائرًا وصاح :

ـ « سحقًا لك ! من يعرف هذا معك ؟ »

رفع الطبيب يده فى صرامة نافذة وقال :

ـ « لا أحد .. إن الموضوع يتعلق بجنون وفزع لا يقدر بوليس ولا محاكم ولا محامون على التعامل معه .. إن لدى خيالاً ، وأنت لن تخدعنى يا (جوزيف كوروين) .. أعرف كيف خدعت سليل أسرتك

الشـاب ، وجعلته يعيدك إلى الحيـاة ، وكيف قضيت الوقت فى معمله تدرس عالمنا المعاصر ، وفى الليل كنت تخرج لتقتات بالدماء .. وكيف وضعت لحية وعوينات كى لا يتعرف أحد ملامحك .. ثم قتلته وواريت جثته ، ورحت تمارس حياتك على أنه هو ، وكان المخبرون يرونك خارجًا أو داخلاً فيحسبونك هو .. لكنك قد هلكت من قبل يا (كوروين) ولسوف تهلك ثانية .. »

هنا صدرت صرخة متشنجة من المخلوق .. وسرعان ما قرر (كوروين) أن يزيح القناع عن حقيقته ، وبدأ يتكلم بصوته العادى المخيف الذى كان يصطنع البحة ليداريه .. وراح يحرك أنامله وهو يلفظ تعويذة مفزعة :

- « بير أدونى إلويم .. أدوناى جوهوفا .. أدوناى ساباوث .. ميتراتون .. »

هنا فقط بدأ الطبيب يلفظ العبارات التى حفظها عن ظهر قلب .. عينًا فى عين وسحرًا لسحر ..

العبارات التى تشكل ذيل التنين .. إن رأس التنين استحضر (كوروين) .. فهل يقدر الذيل على إبعاده ؟

ياى نجناه ، يوج سوثوث

هى لجيب

فاى ثرودوج ، يوااه ، جيب ليب

زرو

كان التحويل مريعًا .. هو مزيج من المسخ والذوبان ، بدأ بمجرد أن نطق الطبيب اسم (سوثوث) المخيف .. وأغمض الرجل عينيه حتى لا يفقد رشده قبل أن يستكمل العبارات كلها ..

وحين فتح الطبيب عينيه ، وجد أن ما حفظه لم يكن عديم الجدوى .. لم تكن ثمة حاجة للأحماض ، لأنه كما حدث للصورة الملعونة منذ عام ، رقد (جوزيف كوروين) الآن على الأرض ، وقد تحول إلى طبقة رقيقة من غبار رمادى ..

لقد أغلقت قضية (تشارلز دكستر وارد) .

★ ★ ★

مارس 1926

هـ. ب. لافكرافت

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

روايات عالمية للجيب

خلف جدار النوم

لسوف نعيش ساعات مفزعة مع (لافكرافت) أعظم كتاب الرعب في القرن العشرين .. سوف نعرف سبب خوفنا من الهواء البارد ورائحة النشادر .. سوف نرى الشجرة العملاقة التي تنمو من ذلك القبر الغريب .. سوف نتحدث همسًا عن الذي لا اسم له خوفًا من أن يسمعنا .. سنناقش الحالة المرضية الغريبة لـ (تشارلز دكستر وارد) .. سنرى تلك الصورة المفزعة في كتاب قديم بكوخ مهجور .. لسوف نعيش أسوأ كوابيسنا التي لم نعتد أن نقابلها إلا .... خلف جدار النوم ...

37

قرش جنيه
٢,٥٠

الثمن في ...
وما يعادله ...
في سائر الدول ... العالم

العدد القادم
الغريم الخفي

مطابع دار الشعب